الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

الملحقة الجامعية مغنية

كلية الأدب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص دراسات أدبية

ظاهرة الالتزام في الشعر الجزائري الحديث.
محمد العيد آل خليفة أنموذجا.

من إعداد الطالبة:

سقماني فتيحة .

تحت إشراف الأستاذ:

زياني سمير.

أعضاء اللجنة المناقشة.

د. بن عدي نورية	أستاذة محاضرة	رئيسا
أ. زياني سمير	أستاذ مساعد	مشرفا ومقررا
د. زغودي دليلة	أستاذة محاضرة	مناقشا

السنة الجامعية:

2016/ 2015

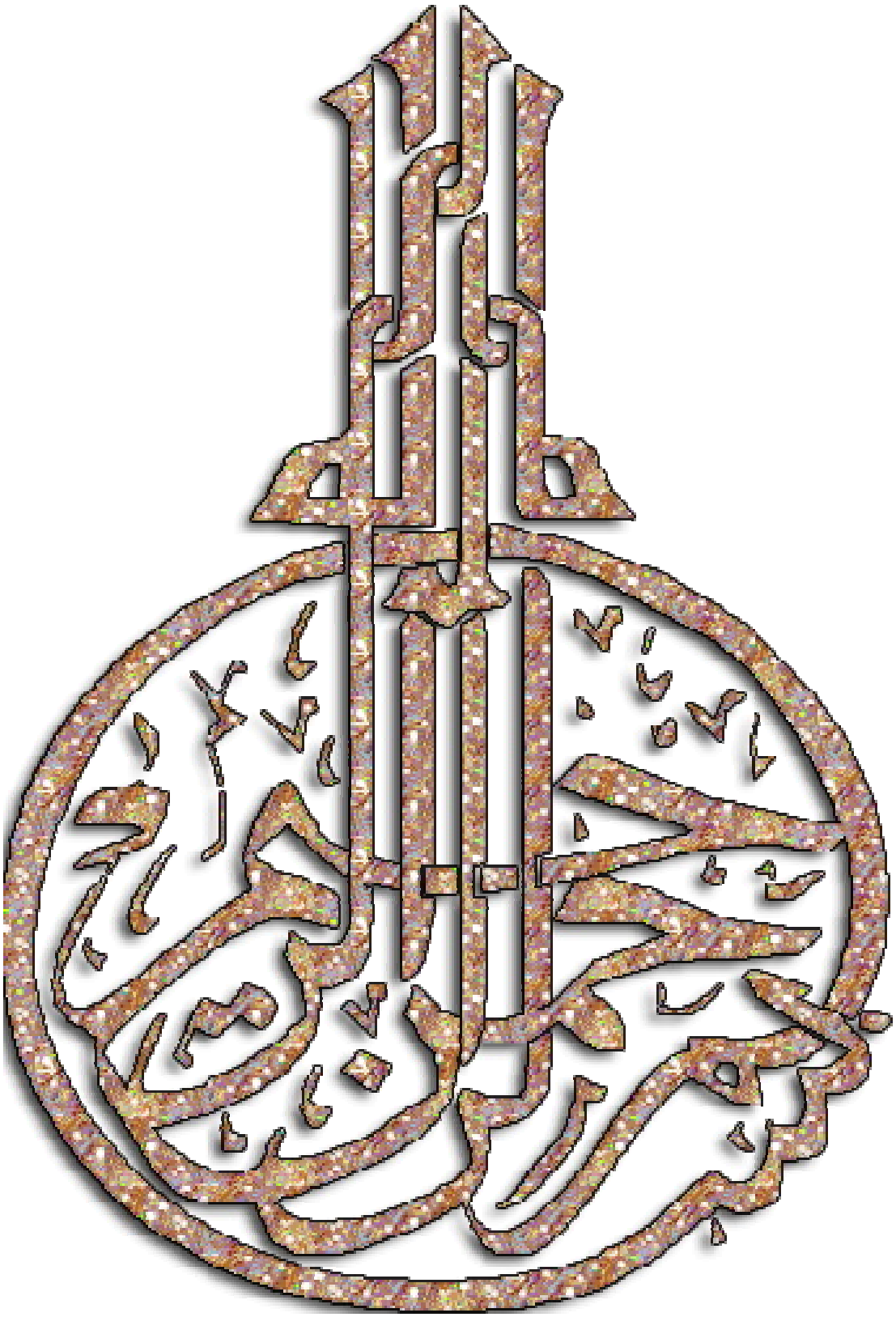

كلمة شكر و تقدير

اللهم أني أحمدك حمدا يفوق حمد الحامدين ، و أشكرك شكر الشاكرين ، حمدا يليق بعظمة جلالك ، وشكرا يوافي قدرتك و كمالك .

أحمدك اللهم على الإرادة التي منحتني إيّاها لإنجاز هذه المذكّرة و أرجو أن أكون قد وفقت في هدفي .

يسرني أن أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "سمير زياني" على توجيهاته السديدة و نصائحه القيّمة ، وعلى مجهوداته في الإشراف على هذا العمل ، إلى رئيسة لجنة المناقشة الدكتورة " بن عدّي نورية" والدّكتورة المناقشة " زغودي دليلة"

والى كافة أساتذتي وإلى مدير المركز الجامعي .

فتيحة

الإهداء

إلى من برضاهما ينشرح صدري، و ينطلق لساني، و يفقه قولي ،و يثمر عملي

إلى من تجب أن أخفض لهما جناح الذل من الرحمة

إلى أمي و أبي الغاليين .

إلى شريك العمر و الدرب، زوجي الغالي الذي كان سندا لي طوال فترة دراستي.

إلى أختي سعاد و أخي مراد.

إلى من قاسموني فرحتي و حزني رفيقات دربي الغاليات : نصيرة، ابتسام، فاطمة

سناء، رحمة، صورية .

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة جهدي.

شكر وتقدير

مقدمة

الحمد لله الذي يقول الحقّ، ويهدي السّبيل، والصّلاة والسّلام على نبينا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، جدّد الله به رسالة السماء، وأحيا ببعثه سُنّة الأنبياء ونشر بدعوته آيات الهداية، وأتم به مكارم الأخلاق، وعلى آله وصحبه أجمعين أمّا بعد:

بحث الفلاسفة المفكرون والنقاد عبر عصور مختلفة، العلاقة التي تربط بين الأدب والحياة ورأوا بأن للفنّ والأدب أهدافا اجتماعية وأخلاقية تتمثل في التعبير عن الواقع الحي للحياة، والعمل على رقي المجتمع وتقدّمه، وتهذيب النفس الإنسانية وتوجيهها نحو الحق، والخير والفضائل والابتعاد عن الشر والانحلال؛ فالأدب مرآة يقوّم بها الإنسان عواطفه فينزع منها ما هو ضار به وبالآخرين، ويجسد بها مظاهر الرحمة والكرم، وحب الخير وذلك بوجوب مشاركة الشاعر أو الأديب الناس، همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية، إلى حدّ إنكار الذّات في سبيل ما التزم به الشاعر أو الأديب، ويقوم هذا الالتزام بالدّرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنّان، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا، إخلاصا وصدقا، واستعدادا من المفكر في أن يحافظ على التزامه دائما، على نحو ما قام به أغلب الأدباء والشعراء الجزائريين بروائع من قرائحهم الأدبية، ملتزمة بالقضية الجزائرية، و مؤازرة لها؛ فحين كانت نار الثورة تزداد اشتعالا كانت الأقلام الأدبية تسيل في كل مكان، مواكبة لأحداثها ومصورة لنيرانها ومعاركها الطاحنة، مبرزة لسيماتها وأبعادها المختلفة وممجّدة لأبطالها.

وبهذا يتحدد موضوع بحثي والذي كان تحت عنوان "ظاهرة الالتزام في الشعر الجزائري الحديث"؛ ومن أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع هو رغبتي في التعرف أكثر على هذه الظاهرة، وخصوصا في شعرنا الجزائري، خلال فترة زمنية معينة، ورغبتي كذلك في إبراز هذه الظاهرة لدى شاعر من شعراء الجزائر، وهو"محمد العيد آل خليفة" الذي عدّ بحق من أهم وأبرز الشعراء الذين دافعوا عن قضيتهم والتزموا بها.

وقد حاولت من خلال ذلك الإجابة عن بعض التساؤلات أهمها: ماهو الأدب الملتزم؟ كيف نظر النقاد الجزائريين لظاهرة الالتزام؟، وما هي الأسباب والدّواعي والدّوافع التي استدعت الالتزام في الشعر الجزائري الحديث؟، وما هي أبعاد هذا الالتزام في شعر محمد العيد آل خليفة؟.

ولتحقيق ذلك رسمت خطة افتتحتها بمقدّمة، تلاها مدخل تحدّثت فيه عن الالتزام في الأدب عرفت فيه الالتزام لغة واصطلاحا، والالتزام في المذاهب الأدبية وفي المفهوم الإسلامي، وقسمت البحث إلى فصلين، خصصت الفصل الأوّل للحديث عن النّقد الجزائري وظاهرة الالتزام وأدرجت تحت هذا الفصل مبحثين، المبحث الأوّل كان تحت عنوان معايير الالتزام عند النقّاد الجزائريين، أمّا المبحث الثاني حاولت من خلاله توضيح دواعي الالتزام في الشعر الجزائري الحديث، في حين خصصت الفصل الثاني للحديث عن الالتزام في شعر محمد العيد آل خليفة الذي اتخذته أنموذجا في بحثي، فجعلت المبحث الأول للحديث عن الالتزام السياسي وتناولت في المبحث الثاني الالتزام الاجتماعي، أما المبحث الأخير فكان للالتزام الدّيني، وأنهيت البحث بخاتمة كانت حوصلة لأهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج، والجدير بالذكر أنني تناولت في هذا البحث قضية التزام الشاعر الجزائري بقضيته الوطنية، أكثر من التزامه بقضايا أخرى، والسبب في ذلك يرجع إلى أن قضية الوطن كانت هي الشّغل الشاغل للشاعر الجزائري، ولذلك فرض علي هذا البحث المنهج الوصفي، لما يمتاز به من قدرة على وصف الظاهرة الأدبية في مكان محدد وزمن معيّن، وقد اعتمدت في ذلك على بعض الدّراسات السابقة، فضلا عن بعض الكتب أبرزها:ديوان محمد العيد آل خليفة، "النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي"، و"فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث"، و"دراسات في الأدب والنقد" لمحمد مصايف، "الشعر الجزائري الحديث" لمحمد ناصر، وأنهيت هذا البحث بفضل الله وعونه، رغم الصعوبات التي واجهتها بسبب الحداثة النسبية لهذا الموضوع، وبالتالي قلة المراجع والدوريات.

وفي الختام فإنّني مدينة بجميل لا يمكن أن يوفى للأستاذ **"سمير زياني"**، الذي تكرم بالإشراف على هذه الدّراسة توجيها ورعاية، أتقدّم إليه بصادق الودّ وخالص الشكر والعرفان وآمل في نهاية المطاف أن تنال فصول هذا البحث قبول قارئيه.

فتيحة سقماني .

مغنية يوم : 2016/05/24 م

مدخل

مفهوم الالتزام :

ظهرت فكرة الالتزام إلى الوجود في العصر الحديث، نتيجة احتكاك الأديب بمشكلات الحياة، وشعوره بخطورة الدّور الذي يجب عليه أن يقوم به اتجاهها، والالتزام يعني:" أن يضع الأديب أو رجل الدّين أو رجل السياسة، جميع قواه المادية، والمعنوية، وجميع طاقاته العقلية والفنية في خدمة قضية معينة".[1]

- **المعنى اللّغوي :**

جاء في لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، في مادّة (ل.ز.م):"لزم الشيء يلزَمُهُ مُلازَمَةً ولِزاماً، والْتَزَمَهُ وألزمَهُ إيَّاه فالْتَزَمَهُ، ورجلٌ لِزمةٌ: يَلزَمُ الشيء، فلا يُفارقه، وهو في اللّغة المُلازمة للشيء والدّوام عليه، والالتزام الاعتناق"[2].

كما جاء في القاموس المحيط، للفيروز أبادي، في مادّة (ل.ز.م) دائما:"لزم الشيء، ثبت ودام، لزم بيته لم يفارقه. لزِم بالشيء تعلّق به و لم يُفارقه، التزم العمل والمال، أوجبه على نفسه"[3].

- **المعنى الاصطلاحي:**

يقصد بالالتزام في الاصطلاح الأدبي، اعتبار الكاتب فنّه وسيلة لخدمة فكرة معينة، لا لمجرّد التسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال[4]؛ فالدكتور محمد غنيمي هلال، يوضح ذلك قائلا: "ويراد بالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفنّ في القضايا الوطنية والإنسانية، وفيما يعانون من آلام، وما يبنون من آمال"[5].

1 لخضر العرابي، الأدب الإسلامي، ماهيته ومجالاته"، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، د.ط، 2003، ص 15.

2 ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1424ه/2003م، م13، ص641.

3 الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، لبنان، د.ط،2008، ص1247.

4 مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مطبعة دار القلم، بيروت، د.ط، 1974، ص79 .

5 محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الشعب القاهرة، د.ط، د.ت، ص562 .

ويعرف سارتر الأدب الملتزم فيقول:"وممّا لا ريب فيه، أنّ الأثر المكتوب واقعة اجتماعية، ولا بد أن يكون الكاتب مقتنعا به عميق اقتناع حتى قبل أن يتناول القلم، إنّ عليه بالفعل أن يشعر بمدى مسؤوليته، وهو مسؤول عن كل شيء، عن الحروب الخاسرة أو الرابحة، عن التمرّد والقمع، إنّه متواطئ مع المضطّهدين إذا لم يكن الحليف الطّبيعي للمضطّهدين"[1]؛ فسارتر يشير إلى الدّور الكبير الذي يلعبه الأدب في مصير المجتمعات، فالأديب مسؤول عن الحرّية، وعن الاستعمار، وعن التطوّر وكذلك التّخلف.

ففكرة الالتزام كنظرية لها أبعادها الفكرية والاجتماعية، لم تكن معروفة في الآداب القديمة، وإن كان مفهومها العام غير بعيد عن أذهان الأدباء والفنانين[2]، فتوفيق الحكيم يؤكّد أنّ الالتزام قديم في الفن والأدب يقول:" والحقيقة المسطورة في التّاريخ، هي أنّ الالتزام في الأدب والفن قديم ... فالشّاعر في المجتمع البدائي وُلِدَ ملتزماً بالدّفاع عن قبليته، مشيدا بفضائلها مزريا بخصومها... و لم ينسلخ تفكيره عن تفكير قبيلته..."[3].

فولاء الشّاعر الجاهلي لقبيلته جعله يلتزم بقضاياها الاجتماعية، فهو فرد من هذه القبيلة، وليس باستطاعته التبرؤ منها، وكانت القبيلة بدورها ترفع من قيمة الشاعر، فإذا نبغ في القبيلة شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصَنعت الأطعمة، واجتمعت النّساء بالمزامير... لأنّه حماية لأعراضهم وتخليد لمآثرهم[4].

والشاعر الجاهلي هنا هو لسان القبيلة في أفراحها وأقراحها، يلتزم بقيام قبيلته، ويعدّ المؤرخ الأول لوقائعها والمشيد بانتصاراتها.

1 جون بول سارتر، ما الأدب، ترجمة: محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر، الفجّالة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص62 .
2 شلتاغ عبود، الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المعرفة، مصر، ط1، 1416 هـ - 1996م، ص56 .
3 أحمد محمد أحمد المصري، الالتزام في الشعر الفلسطيني المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، فلسطين، 1410 هـ-1989 م، ص15.
4 ليلى جباري، الالتزام في الشعر العربي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1986 -1987م، ص 23 .

على أنّ الالتزام في هذه الحقبة لم يتضمن المفهوم المتعارف عليه حاليا، عند شعراء اليوم، وذلك يرجع إلى عوامل ثلاثة:

1. الالتزام الفاعل يحتاج إلى ثقافة بدوره كاملا، والمجتمع الجاهلي كان مجتمعا أميّا، تقلّ فيه الثّقافة والمعرفة.
2. الالتزام مرتبط بالحريّة، والشاعر الجاهلي لم يكن حرّا، بل كان مكبّلا بالأعراف القبلية مقيّدا بها، وإن لم تكون على صواب.
3. اتجه الشعراء نحو التّكسب بالشّعر، يمدحون لمن يدفع لهم، ويجزل العطاء، حتى نزلت مكانة الشعر والشّاعر- إلا قلّة من الشعراء-، وارتفع الخطيب، ممّا دفع الجاحظ إلى القول:

"كان الشّاعر أرفع قدرا من الخطيب، وهم إليه أحوج، لرد مآثرهم عليهم، وتذكيرهم بأيّامهم"[1].

وهنا يجب التفريق بين الالتزام والالزام؛ فالالتزام يعني حرّية الاختيار، وهو يقوم على المبادرة الإيجابية الحرّة من ذات صاحبها، مستجيبا لدوافع وجدانية نابعة من أعماق نفسه وقلبه[2]، من أجل الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنّية، والتّأييد لها بكلّ ما ينتجه الفنّان من آثار، ولعلّ هذه الحريّة هي التي تضفي على الالتزام معنى الشعور بالمسؤولية[3].

والإنسان بطبعه فيه نفور شديد من القسر والإرغام، ويظهر ذلك جليا عند الأدباء، وأهل الفنون، إذ يعدّها حجرا على المواهب، ومما يجلي هذا القول ما ذكره الخوارزمي في بعض رسائله التي تكشف عن الضيق في نفسه من غلبة القهر، إذ يقول:" آثرت الغربة عن وطن معه أذىً،

1 سامية المكي عباس المكي، الالتزام في الشعر العربي (العصر الأموي)، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، 1427 هـ - 2006 م، ص08.

2 جواد إسماعيل عبد الله الهشيم، الالتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزّة، 2010-2011، ص 12.

3 محمد بوزواوي، مصطلحات في الأدب، مؤسسة الإخوة مدني، د.ط، 2003، ص 38-39 .

واخترت الظّمأ على شراب فيه قذىً"[1]؛ فالأدب المكتوب في ظل إلزام مفروض على الأدباء يأتي أدبا تعليميا أو أدب مناسبات[2].

إنّ الالزام تنبعث منه رائحة الإكراه والجبر وهذا يتنافى ومبدأ الحريّة والاختيار، لذلك نأى الإسلام عن هذا القيد في مجال الإيمان، والفكر، دون إغفال لما يترتب عن هذا الاختيار من ثواب وعقاب، قال تعالى:"**وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ، إنّ اعْتَدْنَا لِلْظَّالِمِينَ نَارًا.**"[3]

وما يجلو معنى الإلزام بالإكراه ما جاء على لسان نوح عليه السّلام في قوله تعالى:" **قَالَ يَا قَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِيّ، وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِه فَعُمِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا، وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**"[4].

الالتزام منهج حياة، وأسلوب عمل، وقول مبني على تصوّر واضح للحياة، نابع من العقيدة، يرتبط من خلاله الأديب بقيم وقضايا محدّدة تكون صادرة منه بكلّ صدق ووضوح ؛فالالتزام يحمل معنيين اثنين:معنى السلوك، ويرتبط السلوك بنوعية وجود الإنسان حيث يتكون لديه موقف من هذا العالم ،فيحس أنه مسؤول عن كل شيء، فيتخذ موقفا من ذلك كله .

وأما المعنى الثاني فهو فعل التقرير ويتضمن الفعل الذي يقوم به الإنسان حيث يكون مرتبطا به بشكل ذاتي، ويتضح من خلال سلوكاته وممارسات نشاطاته[5].

ومن هنا نستنتج أن الالتزام لا يعني فقط الارتباط بقضية اجتماعية أو سياسية معينة، وإنما يتمثل في الموقف الذي يتخذه الأديب من تلك القضايا، فلفظة الالتزام نجد في مضامينها مشاركات واعية في القضايا الانسانية الكبرى السياسية والاجتماعية والفكرية، وليس الأمر مقتصرا على

1 المرجع السابق، ص 13 .

2 فائق مصطفى عبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، دار الكتب للطباعة والنّشر، مصر، ط.1، 1989، ص 51 .

3 سورة الكهف، الآية 29.

4 سورة هود، الآية 28 .

5 جون بول سارتر، ما الأدب، ترجمة: محمد غنيمي هلال، ص 202.

المشاركة في هذه القضايا وإنما يقوم الالتزام بالدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه الأديب أو المفكر....ومن هنا كان الالتزام مرتبطا بالعقيدة.

1. الالتزام في المذهب الاشتراكي:

شغلت الدّعوة إلى الالتزام النقد الأدبي الحديث، وأصبحت مثارا للخلاف الشديد بين النقاد في زماننا، ويُعنى أصحاب الدّعوة إلى الالتزام أن يتقيّد الأدباء، وأرباب الفنون في أعمالهم الفنية بمبادئ خاصّة، وأفكار معينة، يلتزمون بالتعبير عنها، والدّعوة إليها[1].

إنّ الأدب ظاهرة اجتماعية، والأديب الملتزم هو من يُعبّر عن قضايا الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع، يؤثر فيه، ويتأثر به، والأديب في هذه الحال يمثل مجموعة من الأفراد يُعبر بشكل فردي عن موقفهم المحدّد من الواقع، على أن يكون عمله الفنّي هادفا من أجل تحسين هذا الواقع وتطويره[2]، فهو يستقي موضوعاته من حياة النّاس على اختلاف طبقاتهم وانتماءاتهم الاجتماعية[3]، وتعتبر قضايا الثورة والحرية والعدالة الاجتماعية من أهم القضايا التي ألحّ عليها نقاد الاتجاه الواقعي، فالواقعية لا ينفكّ أدبها يلازم المجتمع وحياته في مشكلاتها وأحداثها[4]، والواقعيّون عامّة ينادون بمبدأ الفنّ للحياة، وينكرون نظرية الفن للفنّ إنكارا شديدا[5] .

فالدّعوة المعاصرة إلى الالتزام في الآداب والفنون دعوة سياسية في حقيقتها، توجب – كما يقول لينين- أن يضرب الفنّ بجذور عميقة بين أوسع جماهير الشعب العامل، ويجب أن تفهمه هذه الجماهير، وأن تحبّه، ويجب أن يوحّد بين مشاعر هذه الجماهير وفكرها وارادتها، وأن يسمو

1 بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر الرياض، د.ط، 1404هـ/ 1984، ص 15.

2 ليلى جباري، الشعر العربي الحديث في العراق، ص09 .

3 محمّد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984، ص 271 .

4 محمّد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، عربية للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1416 هـ /1995م، ص 29 .

5 ينظر : المرجع نفسه، ص 124 .

بمستواها، وليس المهمّ ما يوفرّه الفن لبضع مئات أو بضعة ألوف من بين ملايين السكان، الفن ملك للشعب[1].

فقد منحت الواقعية الاشتراكية قسطا كبيرا من الاهتمام للطبقة العاملة * وهي تدعو الأديب إلى تناول هموم تلك الطبقة، مبرزا مواقفه الملتزمة منها، "وتجريد الفنّ من حق خدمة المصالح الاجتماعية لا يعني الارتفاع به بل الحطّ من قيمته، لأن ذلك يعني حرمانه من أقوى ما يملك، فالمحور الرّئيسي في مضمون كلّ عمل فنّي هو ذلك المنحى الانساني المعادي للاضطهاد والاستلاب"[2] .

ويعني هذا أن الأدب الملتزم متأثر ومؤثر في آن واحد، متأثر بما يستوحيه من المجتمع من موضوعات وتجارب انسانية واجتماعية، ومؤثر بما يسهم به في بلورة الأفكار والآراء التي تؤمن بها الجماهير، وهذا التفاعل المتبادل بين الأديب وبين المجتمع هو ما يسميه نقاد الواقعية الاشتراكية بالجدلية، وهو ما يشير إليه أحمد الحجّي في معرض حديثه عن الالتزام والذي يقول فيه:" إن الأدب الحق لا يقف عند التلقي والتأثر، بل يتجاوز ذلك إلى طرح المشكلات والقضايا طرحا هادئا، بمعنى أن تأثره بالواقع المعاش يكون على مستوى إيجابي، حيث أنه يؤثر في مجريات الحياة، ويسهم في تطويرها"[3].

والمذهب الواقعي ينظر إلى الموضوع نظرة جدية، فإذا كان الموضوع لا يهتم بالحياة، وأحداثها، وآلام الناس، فهو فن رذيء[4]، يقول كتاب أسس الماركسية اللينينية:" الإنسان الشيوعي

1 بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، ص 16 .

- بالمعنى العلمي للكلمة هي طبقة أناس محرومين من ملكية وسائل الانتاج.

2 ليلى جباري، الالتزام في الشعر العربي الحديث في العراق، ص 12، 13.

3 محمد مصايف، النقد الادبي الحديث في المغرب العربي، ص 271 .

4 محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، ص 31 .

سوف يتميّز باهتمامه بالخير العام، وبأن الأساس المتين لأخلاق هذا الإنسان يكمن في إخلاصه للجماعة، وباستعداده وقابليته للحرص والمحافظة على المصلحة الاجتماعية محافظة واعية [1].

فنظرة الفكر الماركسي للفن:" إنّما هو نشر فكر إيديولوجي خاص، ونظرة معينة خاصّة تجاه الحياة، وفي الوقت نفسه عليه أن يتبنى موقف جماعة اجتماعية، ويعبّر عنها، فإنّه لا يمكن أن يوجد في المجتمع الانساني استقلال الفرد المطلق عن المجتمع، فمثل هذا الاستقلال، ليس إلا من وحي الخيال".

بل:"إنّ الأثر الفنّي تتوقف أصالته ونبله على مدى إسهامه وتعمّقه في الحياة الاجتماعية، ويرون أنّ هذا هو أساس الحركة الواقعية في الفنّ"[2].

حتى أنّ النقاد الواقعيين قاموا بتصنيف الأدباء في دائرتين عامتين، دائرة الأدباء الملتزمين، ودائرة الأدباء اللّاملتزمين[3]. ويبدو أنّ هؤلاء النقاد اعتمدوا في تصنيفاتهم على قاعدة شبه ثابتة، تنطلق من منطلق واحد، وهو علاقة المضمون الأدبي بالواقع الظرفي، بحيث كلما كانت حبال هذه العلاقة متينة كلّما كانت أواصر الالتزام وطيدة، كلّما كانت حبالها هشة كلّما كانت أواصر الالتزام رخوة.

1. الالتزام في المذهب الوجودي:

اتخذت الفلسفة الوجودية، وعلى رأسها سارتر من مصطلح الالتزام وسيلة لنشر مبادئها، فسارتر يتحدث عن الكاتب الملتزم فيقول :" وإنّما أُسمي الكاتب ملتزما حينما يجتهد في أن يتحقق لديه وعي... عندما ينقل لنفسه ولغيره ذلك الالتزام من حيّز الشعور الغريزي الفطري، إلى حيّز التفكير، والكاتب هو الوسيط الأعظم، وإنّما التزامه في وساطته"[4].

1 إلياس فرح، تطور الفكر الماركسي، عرض ونقد، دار الطبعة، بيروت، ط6، 1981، ص 234 .

2 جواد اسماعيل، الالتزام في الشعر الاسلامي الفلسطيني المعاصر، ص 18 .

3 شايف عكاشة، مدخل إلى الشعر المعاصر في الجزائر، المطبعة الجهوية وهران، د.ط، د.ت، ج2، ص 101 .

4 جون بول سارتر، ما الأدب، ص 59 ، 60 .

سارتر قد جعل من أدبه أدب التزام لموقف، ويرى انّ الهدف الغائي هو إعادة تنظيم هذا العالم بعرضه كما هو، ولكن على تقدير أنّه صادر عن حرية الإنسان، فهو يؤكّد على وجوب إدراك المرء أن يختار بكامل حريّته، وهذا الشرط هو أحد الملامح الرئيسية في الالتزام :"الالتزام ينبغي أن يتساوى بالمسؤولية الذاتية، وإن الاختيار هو الوسيلة، إن لم تكن الوحيدة في استخدامه"[1]، على أنّ هذه الحرية تعني حرية الاختيار الإرادي الواعي، فمجرّد الاختيار الإرادي قد يمثل حرية اللهو والعبث، والطفولة، بل الجنون والوعي وحده هو الذي يحقق مفهوم الحرية الصحيحة[2].

على أنّ للوجوديين موقف واضح إزاء الشعر والنثر من ناحية الالتزام، فهم يرون أنّ الكتابة النثرية هي مجال الالتزام، أما الشعر فلا يوجبون الالتزام فيه، فإذا كان الشعر يستخدم الكلمات كما يستخدمها النثر، فإنه لا يستخدمها بنفس الطريقة، فهم يترفعون باللغة عن أن تكون نفعية، فهم لا يفكرون في الدلالة على العالم وما فيه، ولا يرمون إلى تسمية المعاني بالألفاظ؛ يقول سارتر:" إنّنا نستطيع أن ندرك في سير مدى حمق الذين يطلبون في فنّ الشعر أن يكون إلزاميا، نعم قد يكون مبعث القطعة الشعرية الانفعال أو العاطفة نفسها، وقد يكون مبعثها أيضا الغضب أو السخط السياسي، ولكن كلّ هذه الدّوافع لا تتضح دلالتها في الشعر كما تتضح في رسالة هجاء أو رسالة اعتراف"[3].

إنّ هذا التقسيم يرتكز على رؤية الناثر، فهو أقدر على استجلاء عواطفه حين يعرضها في كتابه عن الشاعر، الذي ينقطع عهده بها بعد سيطرة الكلمات عليها بأثوابها المجازية[4].

1 سهام هشام، الالتزام عند الكتاب المصريين، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1993، ص 31.

2 ينظر: جواد إسماعيل الالتزام في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص 18 .

3 بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي الحديث، ص 17، 18 .

4 جواد اسماعيل، الالتزام في الشعر الاسلامي الفلسطيني المعاصر، ص 19 .

فالكتابة النثرية عندهم هي مجال الفكر الالتزامي، لأن عمل الكاتب هو الكشف عن المواقف ولا قيمة لهذا الكشف في حدّ ذاته إذا لم يكن هناك قصد إلى التغيير، وفي ذلك رأى سارتر أنّه بمشروعه الأدبي يكشف عن الموقف قاصدا كلّ القصد إلى تغييره، ويصيب جوهر الموقف وينفذ إلى كلّ جوانبه، ويجلوا أمام العيون، وحينذاك يكون صاحب التصرف فيه[1].

ومن الصعب على الأديب أن يقوم برسالته الاجتماعية، الانسانية هذه، إذا لم يؤمن مسبقا بقضايا المجتمع الذي يعيش فيه، ويقتنع بصواب هذه القضايا اقتناعا كلّيا، وكلّ من الإيمان والاقتناع يشكلان عُنصرا الالتزام والحرية؛ فإذا كان الإيمان بقضايا المجتمع ضروريا للأديب لأنه السبيل الوحيد للاندماج في المجتمع، فإن الاقتناع بصواب القضية المُعالجة لا يقل عنه ضرورة، لأنه مرحلة أساسية من الصدق في التعبير، ومن المعروف أنّه بدون الاندماج في المجتمع، والصدق في التعبير، لا يمكن للأديب أن يقوم بدوره القيادي في المجتمع التي ينتسب إليها[2].

ومهما يكن من أمر، فإنّ التزام الأديب بقضايا أمته وعصره لا ينفي اهتمامه بالقيمة الأدبية الخالصة المبدعة، لذا فالقول بأن الالتزام بقضايا الأمّة يسلب العمل الأدبي قيمته هو قول بعيد عن الصواب، إذ لا يمكن فصلها وغاياتها وأهدافها الإنسانية المتصلة بالحياة، لأن الفصل بين فنية الأدب واجتماعيته شذوذ في منطلق الحياة والفن معا[3].

فكلا المدرستين – الواقعية والوجودية- يشترطان الالتزام في العمل الأدبي، والحرية ضرورة وأساسية بالنسبة لكليهما، غير أنّ حرية الأديب في الواقعية الاشتراكية نابعة أصلا من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، بينما في الوجودية نابعة من الذات الإنسانية، فسارتر يخشى أن تطغى الحزبية على الأدب، فيصير الأديب سجين أفكار محدودة يصعب عليه التّخلص منها، فيبتعد بذلك

1 بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي الحديث، ص 18 .

2 محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص 288 .

3 جواد إسماعيل، الالتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر، ص 20 .

عن الإبداع الفنّي، وبدل أن ينتقي الموضوعات التي يريد معالجتها، فإنّه يُضطر في هذه الحال إلى التقيد بجملة من القضايا، وتأييد نظام سياسي أو الدّفاع عن مذهب إيديولوجي معين.

وهذا ما أكّده الأديب شفيق جبري عندما قال:"إذا كان المقصد من الالتزام أن يفرض على الأديب أفكاره ومعتقداته حتى لا يحيد عن هذه الأفكار، وهذه المعتقدات في كتاباته، وحتى يكون في هذا المجتمع آلة يحرّكونها ويسكنونها كيف شاؤوا، فخير للأديب أن يختار له صناعة غير صناعة الأدب"[1]، ثمّ إنّ الكاتب الذي يجعل وجوده مرتبطا بوجود تلك القضية، ويجعل عينه على جمهوره لا على عمله الفني، يُصَابُ عمله بالعقم و الجمود[2].

ومع إثارة الجدل، واحتدام الخلاف بين النقاد حول غاية الأدب، ودور الأديب فإنهم قد افترقوا إلى مذهبين:

أمّا المذهب الأول، فقد ذهب إلى أن الأدب ذلك الفن الإنساني الرّفيع لا يمكن أن تقتصر رسالته على المتعة واللّهو، بل لا بدّ أن تكون لهه غاية في نُشدان الحقيقة التي يحث عنها الإنسان، وهي غاية الحياة الإنسانية.

أما المذهب الثاني: فقد ذهب أنصاره إلى أنّ الأدب فن جميل، يستثير الشعور بالجمال ووسيلته التي يحقق بها فنيته[3].

2. الالتزام في المفهوم الإسلامي :

ما إن بزغ فجر الإسلام حتى قامت الدّعوة الإسلامية على الالتزام، بكلّ أبعاده، انطلاقا من إيمان راسخ واقتناع عقلي، وحرية اختيار[4]، فالالتزام في المفهوم الإسلامي بمعناه الأصيل، هو نظام يتبع في الحياة من لدن الفرد والجماعة، فلا تستقيم الحياة إلاّ به، كما ذهب إلى ذلك محمّد قطب

1 بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي الحديث، ص 26 .

2 رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، بين النظرية والتطبيق، منشاة المعارف بالإسكندرية، مصر، د.ط، 1988، ص 173 .

3 بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، ص 20 .

4 لخضر العرابي، الأدب الإسلامي، ماهيته ومجالاته، ص 157 .

في قوله: "الالتزام هو الذي ينظم حياة البشرية... فحياة الفرد لا تنتظم إلاّ بالتزامه نظاما معينا في معيشته...وحياة المجتمع لا تستقيم كذلك إلاّ بالتزامه نظاما معينا يشمل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، والسلوكية، والخلقية، والروحية."[1]

إذن الإسلام عقيدة تحتوي على التزام تعاليم دينية هدفها الخير، وقد أشار القرآن الكريم في غير موضع إلى هذا المعنى، قال تعالى :" **فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا**"[2]، وقال تعالى : " **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**"[3].

الإسلام يلتقي مع الالتزام في خدمة المجتمع، فالدّين الإسلامي عقيدة راسخة هدفها سعادة النّاس وحل مشاكلهم وتوجيههم[4]، والالتزام بمعناه الواسع هو (الطاعة)، والطاعة الحقيقية قناعة إيمانية وسلوك مطابق لحقيقة العقيدة، وكل ما يتعلق بها.

الالتزام إذن، عمل يبدأ بالنية الصادقة، والعزم الذي لا يتزعزع، وينطلق من ممارسات واقعية في مختلف جوانب الحياة، وهو يضم تحت جناحيه قيم الحياة الإسلامية وقوانينها وأحكامها، والإسلام لا يستثني شكلا من أشكال التعبير من الالتزام، وبخاصّة الشعر، ويعتبر أي عمل أدبي لا يلتزم بقضايا الإنسان والمجتمع أدبا مرفوضا، لأن الشعر مضمون اجتماعي إنساني، وعمل فني جميل، يستمدّ جماله من التوافق والانسجام بين الشكل والمضمون، فالشعر مع ما فيه من جانب المتعة واللّذة الجمالية هو فكر يُستخدم في خدمة الإنسان وقضاياه، لأن الشاعر المسلم مثل أي أديب، مطالب باتخاذ مواقف اتجاه قضايا الحياة تكون نابعة من عقيدته والتزامه الأخلاقي الذي يجعل الأدب مرتبطا بقضايا الحياة معبّرا عنها، وهو بهذا المفهوم يرفض مذهب (الفن للفنّ)،

1 طاهر محسن جاسم، ظاهر التزام الشاعر في الأدب الإسلامي، مجلة ينابيع، العدد25، رجب، شعبان، 1429 .

2 سورة الفرقان، الآية 77 .

3 سورة الإسراء، الآية 13 .

4 عباس محجوب، الأدب الإسلامي، قضاياه المفاهيمية والنقدية، جدار الكتاب العلمي، ط1، 2006 ، ص 126 .

والشعر للشعر، لأنّه يجعل الشعر غاية لا تحمل أي مضمون اجتماعي أو ثقافي أو إنساني أو حضاري أو سياسي[1].

الأدب رسالة تتمثل في الكشف عن ما يستوجب التغيير، ثم العمل على إحداث التحولات الاجتماعية والحضارية وفق الحاجة إليها.

الالتزام في الأدب أمر ضروري، فالأديب مسؤول بحكم التزماه عن كلّ الذي يكتبه فهو لا يكتب لنفسه بل للمجتمع الذي يعيش فيه، فيقوم بإبراز العيوب والنقائص، وهزّ الواقع لتغيير ما فيه من عيوب، في سبيل تحقيق قيم جديدة، وهذا ما نادت به الواقعية الاشتراكية عندما جعلت الشعر ذو غاية اجتماعية واقعية موافِقه لمسائل العصر، في حين تركت الوجودية الالتزام حرّا ينبع من ذات الأديب، فأخرج سارتر فنّ الشعر من دائرة الالتزام وأبقى على فنّ النثر الذي رآه مجالا للفكر الالتزامي.

1 عباس محجوب، المرجع الاسبق، ص 126 .

الفصل الأول

الشعر الجزائري وظاهرة الالتزام

المبحث الأول:

معايير الالتزام في النقد الجزائري

لاشك بأن المناهج النقدية تكتسي أهمية بالغة في الدّراسات الأدبية، باعتبارها طرقا وأساليب يتناول النّاقد في ضوئها الأعمال الإبداعية.

فحين يعرض الدّارس للنقد الأدبي في الجزائر، فلا بدّ أن يثير قضية بديهية، فرغ منها النّقاد، ومع ذلك فلابدّ من إعادة القول فيها، تأكيدا لها، وإبرازا لأهميتها، هذه القضية هي علاقة الأدب بالنقد والتي تُعدّ علاقة ارتباط، علاقة تلازم في الحضور والغياب، فالقضايا التي يطرحها النّص الأدبي هي القضايا نفسها التي يجب أو على الأقل يفترض أن يناقشها النّص النّقدي، إذ لا يمكن أن نتصور نصّا نقديا كُتب من فراغ، أي اعتمادا على نص وهمي لم يتحقق بالفعل أو نص أدبي يكتسي مكانة معتبرة داخل المنظومة الثقافية دون أن يكون للناقد دور ما في اكتسابه هذه المكانة[1]. وهذا ما أكّده الدّكتور أبو العبد دودو عندما قال: " لهذه الظاهرة الأدبية فائدة مزدوجة أوّلها أنها تساعد على التعريف بالأثر المنقود وصاحبه، وثانيا تتسبب في حركية أدبية لا تلبث أن تزدهر وتغزو جميع الأوساط الثقافية في البلاد"[2]. فالعمل الأدبي في نهاية المطاف هو جوهر العمل النقدي، ومن القضايا التي شغلت الأدب والنقد، قضية الالتزام، التي تتصل بجوهر العمل الأدبي ومقوماته الأصلية، فهي قضية اجتماعية أو قضية إنسانية في أساسها، وقد شُغل النقد الأدبي بها هجوما وتفنيدا، ودفاعا وتأييدا بدرجة ملحوظة حتى فاقت العناية بهذه القضية كلّ عناية، كغيرها من القضايا التي شغلت بال النقاد.

1 ينظر : عبد الله الركيبي، تطوّر النثر الجزائري، دار الكتابة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2009، ص283.

2 محمّد الطاهر يحياوي، أحاديث في الأدب والنقد، شركة الشهاب، الجزائر، د.ط، د.ت، ص50.

1. ضرورة اقتراب لغة الشعرمن لغة الجماهير :

لا ريب أنّ كلّ مذهب أدبي عبر المسيرة التاريخية، يؤمن برسالة معنية، على الأديب أن يؤديها نحو مجتمعه، أو نحو الإنسانية بوجه عام، وهذا ما أكد الدّكتور حسن ناصر عندما تحدّث عن موقف الشعراء الإصلاحيين ورؤيتهم النقدية لوظيفة الشعر:" لقد كان الشعراء آنئذ يكتبون إلى جمهور الشعب، ويستخدمون الشعر كأداة من أدوات الإصلاح، فالشاعر منهم إنما يتوجّه بعمله الشعري إلى الغير لا إلى نفسه ويلتفت أوّلا وبالذّات إلى الجمهور الملتقي الذي يهمّه أن يفهم عنه، ويقتنع بآرئه ومن تمّ فهو يحاول دائما وأبدا أن يكون واضحا في ألفاظه ومعانيه يتوخى البساطة في الألفاظ والتراكيب[1].

فنجد بعض الشعراء الإصلاحيين في هذه الفترة راح يدعوا الشعراء إلى تبسيط اللغة العربية لتكون مضمونة التوصيل لرسالة الشعر ومضامينه، ولعل من أبرز هذه الدّعوات، دعوة رمضان حمّود الذي ما فتئ يؤكد على الدور الإيجابي الذي يجب أن تلعبه اللغة الشعرية المبسطة في التوعية والتوجيه، لقد دعا إلى التخلي عن الأغراض الشعرية التقليدية العتيقة، وترك شعر المناسبات، والأخذ باللغة البسيطة والابتعاد عن الأسلوب المعقّد[2].

كان يُلح على استخدام لغة شعرية متماشية مع روح العصر، متطورة معه، مستجيبة لمتطلباته، سهلة التناول من طرف المتلقيين، تصل إلى نفسوهم بدون إجهاد أو تكلّف، وذلك حين يقول: "لا يسمّى الشاعر شاعرا عندي إلاّ إذا خاطب النّاس باللغة التي يفهمونها، بحيث تنـــزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسقة، لا أن يُكلمونا في القرن العشرين بلغة امرئ القيس، وطرفة والمهلهل، الجاهلين الغابرين... ".

1 ينظر حسن ناصر، الشعر الجزائري، اتجاهاته وخصائصه، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1985، ص287.

2 محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص221.

إنّ رمضان حمّود يدعو الشعراء صراحة:" إلى أن يتنازلوا إلى مخاطبة الطبقة الوسطى والسفلى من الأمة أي العامة التي هي هيكل الشعوب ومرجعها الوحيد عند المدلهمات، ويقتدوا بشعراء فرنسا، وأدبائها الكبار إبان انفجار الثورة الكبرى "[1].

فهو يقرر أنّ من واجب الشاعر الملتزم أن يسهم في خدمة بلاده، وللقيام بهذه الرسالة يستخدم الكلمات المعبّرة الصادقة البسيطة لبلوغ الأدب غايته في النفوس، وهذا ما أشار إليه كذلك الدكتور محمّد مصايف عندما قال: "ينبغي للأديب ألا ينسى أنه يكتب لقراء نصف مثقفين، ولجماهير يهمها أن ترى نفسها فيما يكتب عنها، لأن تذُكره لهذه الظاهرة يجعله يعتني بعباراته، ويوضح أفكاره ومواقفه، فيظهر عمله في متناول أغلبية القراء، والقضية تخصّ اللغة والأسلوب[2]، كما تخص المضمون ذاته فعلى الأديب الجزائري الملتزم الواعي أن لا يعقّد أسلوبه بالتشابه والصور المجرّدة الكثيرة، التي تشغل ذهن القارئ وتمنع المثقف المتوسط من قراءة العمل الفني في يسر، وتجعله ينسى القضية التي يجعلها الأديب، إن الوضوح في اللغة والأسلوب شيء أسامي بالنسبة للأديب الحديث، الذي يهدف إلى خدمة الجماهير، فينبغي له أن يدرس مواقفه دراسة كافية، لأن هذه الدّراسة هي التي تجعل الأفكار واضحة في الذهن، وهذا ما يعرف بالموقف الإيديولوجي الذي هو موقف الأديب من المذاهب الفنية الحديثة، فوضوح الأفكار مرحلة هامّة تمهّد لوضوح الأسلوب واللغة "[3].

إنّ الوضوح في اللغة والأسلوب شيء أساسي بالنسبة للأديب الحديث الذي يهدف إلى خدمة الجماهير، فأحيانا يجب على الأدب أن يتخلى عن حلته البديعة ولغته الراقية وديباجيته المشرقة لينـــزل إلى مستوى الطبقة الدّنيا ليتمكن من الولوج إلى أعماقها وتحريك سواكنها، ولا ضير في ذلك ما دام هذا الأدب يتسم بوظيفته اجتماعية ورسالة سامية، تلك هي رسالة الأديب

1 حسن ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 288.

2 ينظر : محمد مصايف، دراسات في النقد الأدب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص64.

3 المرجع نفسه، ص 68.

الملتزم التي غالبا ما تتكيف بظروف المجتمع الذي ينتسب إليه هذا الأديب، لأن التزامه ليس شيئا جامدا يقوم على قواعد عامّة يأخذ منه الأدباء بنفس الطريقة، بل هو أثر من آثار النشاط الاجتماعي للشعب عامّة، والطبقة العاملة بشكل خاص.

2. الالتزام في إطار الحرية الفنية :

إنّ الاتجاه الواقعي ليس واحدا لدى جميع النقاد الواقعيين، حيث أنّ بعضهم ينظر إلى هذه الظاهرة الأدبية نظرة واقعية معتدلة، ويحاول بذلك أن يجمع بين الحرية الفنية والالتزام في موقف واحد متكامل في حين أن نقادا آخرين ينظرون إلى هذه الظاهرة نظرة واقعية متطرفة، ولا يكادون يعترفون للأديب بأي حرية، أو بالأحرى يعتبرون هذه الحرية مجرد انعكاس للحرية الاجتماعية[1].

فمن بين النقاد الواقعيين المعتدلين نجد الدكتور محمد مصايف الذي عندما تحدث عن الالتزام رأى أنّه يتألف من عنصرين أثنين لا يغنى أحدهما على الآخر: العنصر الذاتي الضروري لكل فن رفيع، والعنصر الاجتماعي أو الفلسفي الذي يمكن تسميته بالعنصر الموضوعي، فليست القصيدة التي تكتفي بالتعبير عن نفس صاحبها، وعن مطامحه وعواطفه الخاصة بشعر ملتزم، لأن الالتزام من شأنه أن يكون في قضايا عامّة وإنسانية هادفة، وليست المقطوعة التي يعرض فيها صاحبها قضية اجتماعية أو وطنية دون ما تجاوب معها بملتزمة كذلك، لأنها وإن عبرت عن وضع اجتماعي ودافعت عن قضية عامة، و لم تشتمل على هذا الشرط الأساسي الذي يجعلها حية ومؤثرة في نفس قارئها، فلن تؤثر التأثير المطلوب؛ فلابد للشاعر الملتزم إذن من التجاوب الصادق مع موضوعه إذا أراد أن يبلغ نفوس قرائه، وبالتالي أن يؤدي رسالته كفنان يكرس حياته لخدمة المجتمع الذي يعيش فيه، فإيمان الكاتب بما يعالجه من قضايا، وإخلاصه فيما يتخذه من مواقف هما الشرطان الأساسيان لقيام هذا الكاتب برسالته خير قيام، وذلك لأنه من حق الأديب ألا يكتفي بتخليص أقوال

1 ينظر: محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص 235 .

الآخرين، ولا يتبنى مواقف المسؤولين بصورة سطحية، بل عليه أن يعمق هذه المواقف، وأن يشكل منها اتجاها يجمع حوله المواطنين، وعقيدة تدفعهم إلى النشاط والتضحية.

الأمر نفسه ذهب إليه حنفي عيسى، عندما رأى:" أنّ الأدباء الجزائريين شعروا بمسئوليتهم إزاء قضايا شعبهم مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى، حيث أن الأقلام تحركت، والعقول نشطت فالوعي السياسي لدى الأدباء هو الذي دفعهم إلى التفكير في مصير شعبهم، وهو الذي جعلهم يعتبرون أنفسهم مجندين للدفاع عن هذه الشعوب"، فالالتزام في نظره موقف إيديولوجي يستلزم تعبيرا خاصا واعيا بالقضايا التي يصوّرها هادفا لى تحقيق مطالب اجتماعية وسياسية محدّدة، هذا الوعي هو الذي يجعل الأديب يشعر بمسؤوليته إزاء هذا الشعب و يتخذ موقفا دون غيره من المواقف[1].

وإذا كانت الحرب قد أوحت إلى سارتر وزملائه باتخاذ موقف نضالي ضدّ مهددي الحرية في أوروبا، فإن ظروفا مماثلة أدّت في العالم العربي إلى اتخاذ أدباء عرب نفس الموقف ضدّ الاستعمار، والنظم السياسية المتعاونة معه، فهذا عبد الله الركيبي، يناقش وظيفة الأدب من جانبها النضالي، ويؤكد أنه وإن كان من طبيعة الأدب أن يوفر للملتقي متعة ذهنية روحية، فإنه يقوم بوظيفة اجتماعية إنسانية بالدّرجة الأولى يقول في هذه الوظيفة الأخيرة:" ذلك أن الأدب بكافة فنونه، شعرا وقصّة ورواية ومسرحية، يعدّ المحرك الحقيقي لروح الشعب، والمعبر عن حياته المادية والروحية، ومن ثمّ لابد وأن تكون غايته الإنسان لا الجمال فقط، ولا يخفى على أحد أن الأدب كان دائما هو الشرارة الأولى التي انطلقت منها الثورات الكبرى، تلك الثورات التي حررت الإنسان من الظلم والسيطرة والعبودية".

1 المرجع السابق، ص 236.

فالركيبي يُلحّ بهذا على فعالية الأدب في إيقاظ الشعوب من غفلتها من خلال التزامه بقضايا شعبه ووطنه.[1]

هذه التجربة الخاصة التي يلح عليها عبد الله الركيبي ويراها أساس كل عمل فني، هي التي تجعل الأثر الأدبي والفكري بوجه عام جديرا بالاعتبار والخلود، وهولا يقصد بها التجربة الذاتية المحضة، وإنّما التجربة التي تنبع من معايشة الناس ومشاطرتهم مشاكلهم اليومية، يقول الركيبي: "التجربة الحقيقية للحياة وألوانها، للإنسان ولحياته، وما فيها من شقاء أو نعيم... التجربة التي تُعبّر عن مشاعر الإنسان وأحاسيسه، وأشواقه، وعن فهم هذا الإنسان ومجتمعه"[2].

فالتجربة في نظر الركيبي ليست انفصالا عن واقع النّاس بل هي معايشة الفكرة أو القضية "فعليا أو شعوريا"، فهو يعرّف هذه الواقعية بأنّها: "الواقعية الفنية التي تعني بالإنسان أولا وأخيرا الواقعية التي لا تنقل الوقع نقلا آليا (فوتوغرافيا)، بل تأخذ منه، ثمّ تعلو عنه بالمعالجة الفنية بالهمس، بالإيحاء، باللفتة المعبّرة، بالحوار الطبيعي الجذّاب"[3]، وهذا ما سماه محمّد مصايف: "بالشّجاعة الأدبية " تلك الشجاعة التي تعني إعلان الأديب عن اتجاهه العقائدي بصراحة، دون لفّ ودوران، بهذه الشجاعة وحدها يُفرق بين أديب ملتزم وآخر غير ملتزم[4].

فالالتزام في الفن لا يعني مجرد اتخاذ موقف ما فحسب بل يعني علاوة على ذلك أن يأتي هذا الموقف معبرا عن وجهة نظر الأديب إزاء نفسه وإزاء مشاكل المجتمع الذي يعيش فيه لأن المواقف الذاتية المحضة أمست اليوم لا ترضي النقد الحديث[5] .

1 المرجع السابق، ص 277.

2 المرجع نفسه، ص278.

3 محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص300 .

4 محمد مصايف، دراسات في النقد والأدب، ص 55.

5 عبد الحميد شيحة .فصول في النقد الأدبي، الأدب والإيديولوجيا، مجلة، ج1، م5، العدد .03، أبريل، مايو، 1985، ص 33.

كما أن المواقف الاجتماعية التي لا تعبّر عن نفس صاحبها بصدّق وعمق مواقف مزيفة:"فنحن إذا طالبنا الأديب بالتعبير عن نفسه، وعمّا تمده به هذه النفس من موقف وأحاسيس ونحن لا نريد من هذا الأديب أن ينـــزوي في عالمه الذاتي الخاص، ولا أن يمنع حواسه ومشاعره من الاتصال بمحيطه اتصالا مباشرا ومفيدا، على أنه حتى لو أردنا ذلك ما أفلحنا، لأن الأديب وهو إنسان عادي، ليس إلا عضوا كاملا في مجتمعه الذي يؤثر فيه ويتأثر به"[1]، فالعمل الأدبي تجربة اجتماعية، فيما يتسم به من آلام، أو ينشد من آمال، وعلى الكاتب أن لا ينحصر عمله في نطاق نزاعاته الفردية، بل يتوقد مع الوعي الاجتماعي.[2]

في حين نجد نقادا آخرين لا يعنيهم من الالتزام إلاّ العنصر الموضوعي، ومن بينهم الأستاذ الخمار الذي يقول: " فإذا كان الأديب ملتزما ووطنيا،وشارك في بناء بلاده، فإن إنتاجه يستحق الخلود، ولوكان إنتاجه أقل من الإنتاجات الأخرى الراقية، لأنه أدى رسالته في وقت معين، وإذا كان منسلخا عن حقيقة ومبادئ شعبه، فيجب ألا يعتز بفنه مهما بلغ ذروة الرقي"، و هذا الرأي يتجاهل الجانب الفني من الشعر فالخمار نسي أو تناسى أنه يصدد الحديث عن الأدب الذي يفقد كل قيمته كسائر الفنون الأخرى إذا لم يتوفر له بصفة كافية العنصر الذاتي[3]، الذي بفضله تستطيع نفس الشاعر الاتصال بنفوس قارئه، وبالتالي التأثير فيها وتوجيهها إلى الطريق الذي يكون هذا الأخير قد التزمه[4] فالأدب الرفيع يقوم إذن على عنصرين أثنين، عنصر شخصي يمثل الأديب ومشاعره، وعنصر عام يشترك فيه هذا الأديب مع أفراد المجتمع، فالأديب يجب أن يربط بين شخصيته وبين الواقع ربطا يجعل عمله يقوم على موضوعية القضية المعالجة من جهة، وذاتية التجربة من جهة ثانية، مما يمكن لهذا الأديب من القيام برسالته الاجتماعية، مع المحافظة في الوقت

1 محمد مصايف، دراسات في النقد و الأدب .ص 58.

2 محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنقد، دار النهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة القاهرة، د.ط.دت.ص 37.

3 محمد مصايف، فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث، ص 197.

4 المرجع نفسه، ص200.

ذاته على الشروط الفنية الضرورية لعمله، فالكلام الأدبي ليس مجرد ترويج عن النفس، أو تعبير جمالي، وإنما موقف يستتبع المسؤولية.

المبحث الثاني:

دواعي الالتزام في الشعر الجزائري الحديث

الأديب ناثرا كان أم شاعرا عليه أن يدرك بأنّه صاحب رسالة، فهو مسؤول مسؤولية مباشرة في أحداث أمته حاضرها ومستقبلها، وعليه أن يكون ملتزما بأمانة وصدق بقضايا أمته فالأدب الجزائري صوّر واقع المجتمع، والقضايا التي عاشها الشعب الجزائري أكثر من قرن ونصف ونقل إلينا ما يلقي الضوء على المراحل التي مرّ بها المجتمع، والصّراعات المختلفة التي ظهرت في البيئة الجزائرية، فالخاصية الجوهرية للأدب هي التصوير، تصوير الأفكار والمشاعر، وكلما كان التصوير أدق وأعمق بلغ العمل الأدبي أكمل صفاته؛ فإذا توثقت وشائج العمل الأدبي مع مسائل الساعة زاد ثراء العمل الأدبي في سماته الفنية.

1. الوضع السياسي:

إنّ الاحتلال الفرنسي في الجزائر كان يهدف بسياسته إلى المحو التام للكيان الجزائري، مع كلّ ما تستلزمه هذه السياسة من نتائج : محو اللغة، والتاريخ، والحكومة والرموز الوطنية الأخرى من أجل ذلك حملت الإدارة الاستعمارية على كاهلها مسؤولية إدارة تلك الأعمال لتحقيق أهدافها التي تراها من أولويات أعمالها، في تكريس وجودها واستمرارها في الجزائر، فالشعب الجزائري في نظرها شعب من الدرجة الثانية أو الثالثة، لا يستحق الاحترام والتّقدير، ولا يستأهل العناية والمساعدة والتطور لذلك تم عزله إداريا وسياسيا.

على هذا النمط كانت تُدار شؤون الحالة السياسية المضطربة في الجزائر وبخاصة بعد صدور ما يضمن الحصانة القانونية للمستوطنين ومنحهم كلّ الصلاحيات في حكم الجزائر، باعتبارها أرضا مفتوحة وأن سكانها في نظرهم شعب مغلوب ليس له من الحق والمساواة شيء يُذكر[1] .

1 أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1984، ص 325 ،326.

قد تأذى الشعب الجزائري جرّاء تلك القوانين في مصالحه العامّة، و لم يكن هناك مخرج إلا الثورة كوسيلة للخلاص من ذلك .

فالجزائريون في تلك الفترة الزمنية المظلمة، لم يغمض لهم جفن، و لم يهدأ لهم بال، بل بقووا على هذه الحالة طيلة الحقبة الاستعمارية، وهذا يعطينا صورة واضحة عن حقيقة هذا الشعب المقاوم، بثوراته المتعاقبة، بدءا من ثورة الأمير عبد القادر الجزائري سنة 1832 إلى الثورة التحريرية الكبرى عام 1954[1]، ولكن تآمر القوى الاستعمارية، وتحالفها ضدّ الجزائريين أرغمهم على العدول عن خطة المقاومة في مرحلة من مراحل الاستعمار، فأغمدوا السيوف وامتشقوا الأقلام، وبخاصّة بعد صدور قانون إلغاء معظم الإجراءات التعسفية في اليوم الرّابع من شهر فبراير 1919 التي كان يعاني من أحكامها الأهالي، وقد أحدث هذا القانون تغييرا في الساحة السياسية الجزائرية، بحيث أصبح لبعض الجزائريين الحق في الانتخابات العامّة، كما أتيح لآخرين المشاركة والترشح لبعض المناصب السياسية، مما أحدث تغيرا في الساحة السياسية الجزائرية، حيث ظهرت حركات سياسية، كان لها الأثر الكبير والدور الفاعل في تغيير مجرى الأحداث ورسم صورة للحياة السياسية في الوطن الجزائري، من هذه الحركات السياسية حركة (الأمير خالد) الذي انتهز فرصته صدور قانون فبراير 1919 فأعلن عن حركته الوطنية التي أتجه بها إتجاها سياسيا.[2]

يعتمد على تنظيم صفوف الشعب وتبصيره بقضاياه، ومطالبة المستعمرين بحقوقه الوطنية وحقوق شعبه وأمته، ولكن سرعان ما أخفقت هذه الحركة تحت وطأة تضييق الخناق عليها، من قِبَل الإدارة الاستعمارية، وتمّ نفي الأمير خالد[3].

1 عبد المجيد رمضان، ثورة الجزائر، شخصيات صنعت تاريخ الوطن، المطبعة العربية، الجزائر، ط، 1425هـ /2005، ص 13 .

2 مجاهد مسعود تاريخ الجزائر، المكتبة الوطنية الجزائر، د.ط، 1966، ج1، ص 126 .

3 عيسى بن ساعد مدور، الخطابة في النثر الجزائري الحديث، موضوعاتها وخصائصها (1954/1931)، رسالة دكتوراه جامعة الجزائر.2005/2004.ص 31 .

وفي الخامس من مايو 1931، ظهرت حركة إصلاحية دينية أسّسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي انتخب رئيسا لها فيما بعد، وقد تعرضت هذه الجمعية هي الأخرى إلى الضيق والمحاصرة، فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعدّ بحق من أهم الجمعيات التي أدّت دورا فاعلا في حياة الأمة بما عُرفت به من نشاط إصلاحي في مختلف المجالات .

ففي السنتين الأوليتين من تأسيس الجمعية لم يسجل لها أي نشاط سياسي يذكر بل كانت تلتزم الحيطة والحذر مراعية الظروف السياسية القائمة، ربما لأنها كانت منشغلة بشؤونها الدّاخلية التي تحتاج إلى رص الصفوف وتصفيتها من الشوائب كما أنه لم يطرأ تغير في الساحة السياسية إلا ما كان يذكر من حديث حول التجنيس، والإدماج، وموقفها إزاءها تبين القضيتين كان واضحا، ذلك ما يستشف من خلال قول ابن باديس: "إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها، و في أخلاقها، وفي عنصرها ،و في دينها، لا تريد أن تدمج ولها وطن محدود معيّن هو الوطن الجزائري بحدوده العالية المعروفة"، بهذا الموقف دخلت الجمعية في صراع مع الإدارة الاستعمارية التي كانت تحاول تجنيد و إدماج الشعب الجزائري، والسعي إلى منح هويته[1].

إن الاستعمار الاستيطاني الذي أُبتليت به الجزائر، كان يقتضي وقفة حازمة وإصرارا عنيدا، ودعوة ملحة، لإيقاظ الشعب، الذي ران عليه الجهل، وكبلته الإدارة الاستعمارية بالقوانين الصارمة المجحفة والتبصير بمختلف الدّعوات المغرضة الهادفة إلى الإدماج والتجنيس، والتجنيد الإجباري.

1المرجع السابق، ص 40 .

فالدافع الأساسي للاستنهاض والتحريض وحث الشعوب على التمرد والثورة، ونبذ الظلم هو التطلع للحرية واكتساب المجد إنها جميعا مسؤوليات الشاعر فهو في نظر محمد العيد الجباري باني المجد، وحارسه القيم عليه في كل الظروف والأحوال[1] :

حَثَّكَ المَجْدُ فاعْـــتَنِ وَاكْتَسِـــبْ المَجْدَ واقْـــتَـــنِ.

اِسْخَ بِالنَّفْسِ دُونَـــهُ هُـــوَ أَغْـــلَـــى مُـــتَـــمـــنٍّ.

لاَ تَقُلْ مِشْعَـــلِي خَبَا واحْـــتَوى اللَّيْلُ مَـــسْكَـــنِي.

ذلك أن الشعر كان في معظم أحيانه يدعو إلى النهوض والتحرر، ولعلّ هذا مرجعه أن الشّعر لم يتقيّد بأحزاب واتجاهات خاصة وإنما كان في غالب الوقت مرآة للشعب، لا لحزب أو هيئة سياسية، ومن هنا كان الشعر الجزائري مرآة صافية عكست بحق انفعالات الشعب وآرائه في مجريات الأحداث التي عاشها فشعراء الجزائر قد استطاعوا وسط ظلام الاستعمار وبطشه أن يتنفسوا وأن تخرج أنفاسهم حرى بالسخط على الاستعمار والإعراب عن الآمال القومية والدعوة إلى الكفاح وأن يرسموا على مدى الأجيال صورا صادقة للحياة القاسية التي عبرت بهم طوال هذه السنين[2] .

لدى قلّت قصائد المناسبات في الشعر الجزائري، وكاد ينحصر في موضوع واحد هو:شعر الوطنيـــــــات وشعر السياسة، وقضيا الشعب... وهذا ما يفسّر روح السّخط والتّمرد والتشاؤم في شعرنا الحديث، لقد استمد شعرنا الحديث هذه الروح من حياة الحرمان، والكبت الذين عرفها الشعب الجزائري طيلة الحكم الأجنبي، فإن كنا نلاحظ فيه روحا تشاؤمية فإنّها من هذا النوع الذي يدعو إلى الثورة والنضال، ثورة على الجهل والفقر والمرض، ثورة على الحياة الاجتماعية العفنة، ثورة على الظلم والاضطهاد، ثورة على أعداء الجزائر .

1 محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، د.ط، د.ت، ص 36 .

2 عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، الدار القومية للطباعة والنشر، روض الفرج، مصر، د.ط، د.ت، ص 20 .

فهذا الشاعر رمضان حمود، يدعوا إلى الجهاد في غير تلعثم أو تستّر مثل البعض من الشعراء الذين كانوا يهمسون بهذا همسا، ويخافون التصريح فيعمدون إلى التلميح خشية الموت أو السجن يقول:

لَنْ يَنَـــالَ العزَّ شَعْبٌ كَالجَـــمَـــادِ فَقَدَ الإحْـــسَاس خَـــالٍ مْـــنَ الشُّعُورِ.
لَنْ يَنَالَ المجْدَ شَـــعْبٌ بـــالرُّقَـــاد يَتْرك اللُّـــب وَ يُعْـــنَى بـــالـــقُشُـــورِ.
إنَّمَا المجْدُ قَـــرينٌ بـــالجـــــهَـــادِ وَوِئَـــام وَ ثَبَـــات في الـــظُّـــــهُـــورِ[1].

وعلى نفس الاتجاه سار الشاعر السعيد الزاهري الذي كان يجاهر هو الآخر بآرائه الوطنية بصورة علنية عن طريق النداء الملح، وشحذ العزائم والتوجه إلى مخاطبة الشعب، بأن يعمل دونما كلل، ويركب العزم الحديد إذا ما أراد نيل المراد :

وَمنْ يَرْكَبْ العَزْمَ الحَديدَ فَـــإنَّهُ يَـــهُـــون عَـــلَيْـــه أَنْ يَـــحْصُلُ مَرْمَاهُ.
وَمَنْ كَانَ في أَعْمَاله مُتَكَـــاسلًا فَـــسُـــرْعَانَ مَا يُكْدَى وَ يُخْفِقُ مَسْعَاهُ.
سَعَى مَعْشَرٌ يَبْغُونَ عَيْشًا وإنَّني لَأَسْـــعَى وَ لَـــكنْ بغْيَتي العزُّ وَ الجَـــاهُ.
وَأَنْدُبُ "حَظًّا" للْجَزَائر ضَائعًا بـــه طَـــــارَت الـــعَنْقَاءُ عَلّي أَلْـــقَاهُ.
وَاسْتَنْهضْ الأَحْرَارَ لَامُـــتَأَوَّهًا فَمَـــاذَا عَسَى يُجْدي "الجَـــزَائرَ" أَوَّاهُ؟.[2]

فمثل هذه الهمة وحدها يمكن للجزائر في نظر الزاهري أن تقوى على حالها وتنهض من كبوتها، وتنال ما تطمح إليه من المعالي، فالأدب الجزائري يمكن منذ البداية أن يؤكد حضور النص الثوري في كل المراحل التي مرت بها مقاومة الشعب الجزائري .

1 المرجع السابق، ص 22 .

2 محمد الطمار تاريخ الأدب الجزائري، ص 350.

2.الوضع الاقتصادي والاجتماعي :

أ.الوضع الاجتماعي :

المجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي كان مجتمعا قوامه يومئذ عدّة طبقات؛ الإقطاعيون الممثلون في الداي وبعض الأتراك والحكام المحليين، وصغار التجار والموظفين ،كما كانت توجد طبقة عاملة[1].

على هذا النحو كانت صورة الحياة الاجتماعية في الجزائر آنذاك وبالرّغم من ذلك فإنّ الجزائريين كانوا يعيشون حياة سلام وهدوء، ولكن عندما اجتاحت القوات الفرنسية أرض الجزائر أحدثت تغيرات أثرت سلبا على الحالة الاجتماعية ،ومن أهم هذه التغيرات:

- **الهجرة :**

إن الحكم الفرنسي في الجزائر، المتسم بالقساوة والاضطهاد للشعب الجزائري، كان سببا رئيسيا في الهجرة داخل البلاد وخارجها، حيث كان الجزائريون يفرون من منطقة إلى آخرى داخل الوطن وخارجه طلبا للأمن، وهناك أسباب مختلفة للهجرات التي أصابت المجتمع الجزائري منها: انعدام الحرية؛ وبخاصة بعد صدور قانون (الأنديجينا) الذي اتبع سياسة خنق الحريات مع تغييب وسائل التعبير[2].

ومن الأسباب الدفاعية إلى الهجرة أيضا :الأحوال الاقتصادية ،ذلك أن الجزائريين كانوا يشكون من ثقل الضرائب المسلطة عليهم من قبل الإدارة الاستعمارية، إضافة إلى ذلك فقدانهم لأراضيهم التي اغتصبت منهم بالقوة من طرف المستوطنين[3].

وهناك سبب آخر لا يقل أهمية عن الأسباب الأخرى دفع الجزائريين إلى الهجرة خارج الوطن يتمثل في تسلط الإدارة الفرنسية على المؤسسات الدينية ومصادرة أملاكها، بحيث حوّلت

1 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900، 1930)، دار نافع الطباعة، الجزائر، ط2، 1977، ج2، ص 137 .

2 عيسى بن ساعد مدور، الخطابة في النثر الجزائري الحديث، ص 43 .

3 المرجع نفسه، ص 50.

الكثير من الزوايا إلى مراكز للتحذير والتقاعس الاجتماعي وعدم البحث فيما يهم الأمة بل أصبحت أماكن الدعاية للأولياء والمرابطين الذين شوهوا صورة الإسلام السمح ببدعهم وأباطيلهم المضللة حتى اعتقد كثير من جموح الجهلة أن ذلك هو عين الإسلام؛ فانقادت لهم والتمست منهم حاجاتهم. ومن البدع التي صوّرها الشعراء في فكاهة ما جاء على لسان "الشمعة" التي كان الناس يتبركون بها، وهي جماد في قصيدة الشاعر قدور الحلوي التي جاء فيها.

أَشْرَكُوني بالله، لِلَّهِ أَشْـــكُوا مِنْ صَنيع زَعَانفِ الجِـــهَـــالِ.
زَعَمُوا أَنَّني أُريدُ وَ أَقْـــضِي نَسَبُوا لي التَّأْثيرَ فِي كُلِّ حَالِ.
وَتَنَادُوا مَن رَامَ حفْظَ كِتَاب فَلْيُغَالبْ في سَوْمهَا وَ لْـــيُغَالِ.[1]

فمثل هذه الأسباب وغيرها هي التي قادت الجزائريين إلى الهجرة الجماعية نحو الشرق الأدنى.

- **وضعية العمال :**

لا ريب أن الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على الإدارة الاستعمارية منذ احتلال الجزائر، هو استبعاد أهلها والاستحواذ على خيراتها، ممّا نتج عنه تحوّل الأمة الجزائرية إلى أمة عمّال لهذا تجد الفقر المدقع قد ضرب أطنابه بأنحاء البلاد.

فأمام هذه الأزمات التي ألمت بالشعب الجزائري وبخاصة بعد انتزاع أملاكه والاستلاء عليها عنوة، تحول كثير منهم إلى عمال في مختلف الميادين يتقاضون أجورا ضعيفة لا تلبي حاجاتهم[2] .

فالبؤس في الجزائر قد عمّ أغلبية سكانها، فلم يستطيعوا صبرا على تلك الحالة التي ساهمت في تدهور الوضع الاجتماعي، وتدني مستوى معيشة الأفراد مما اضطرهم إلى مغادرة أرض الوطن قصد العمل من أجل أن يعيشوا، وخاصة بأرض فرنسا، فاستقبلتهم معاملها ليشتغلوا فيها أشغالا

1 عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشعر الإصلاحي، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، 2009، ج2، ص 73.

2 أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 320 .

عادية خالية من الاختصاص مقابل أجور تقل بكثير عن أجور الفرنسيين والأجانب، ولكنها في مقابل ذلك أكثر مما يتقاضاه إخوانهم العمال بالجزائر.

- **وضعية المرأة الجزائرية :**

المرأة الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي كانت تحظى بوضعية طيبة لكن سرعان ما تحولت تلك الوضعية حين تم الغزو الفرنسي للبلاد الذي أحدث انقلابا شاملا في حياة المجتمع برمته[1] لتبلغ المرأة الجزائرية آنذاك ما بلغه الرجل من درجة كبيرة من التخلف فهذا الشاعر صالح خباش يتحدّث عن المرأة فيرثي لحالها، لقد اعتبرها إنسانة تستحق العطف والرثاء فقد تركوها مهمومة مغلولة الأيدي لا تستطيع أن تتحرك ولا أن تشارك في الحياة لأنها مسجونة وراء الحيطان محرومة من كل شيء :

تَرَكُــوكِ بَيْنَ عَبَاءَةٍ وَ شَقَــــاءِ مَكْــئُوبَةً في الــلَّيْلَةِ الــلَّيْلَاءِ.

مَسْجُونَةً مَحْرُومَةً مَــزْجُــورَةً مَلْفُــوفَــةً بِمَلَاءَةٍ سَــــوْدَاءِ .[2]

إلا أن هذه الحالة التي تعيشها المرأة الجزائرية لم تمنعها من وقفات رائدة تبرز فيها في بعض فترات التاريخ إضافة إلى ذلك أنها كانت تمتاز بخصال كريمة وسجية، فهي محافظة أتم المحافظة على التقاليد القديمة.

والعادات التي ورثتها عن الأسلاف وهي مسلمة متينة الإيمان، ثم هي زوجة أمينة صبورة ووفيّة تشاطر زوجها آلام الحياة دون جزع.

1 عيسى بن ساعد مدور، الخطابة في النثر الجزائري الحديث، ص 44 .

2 عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص 14، 15 .

- **الحالة الصحية :**

لا شك أن مثل تلك الأوضاع البائسة، والظروف القاسية التي ألمت بمعظم الشعب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي لغنيّ عن البيان على أن يكون عرضة لأخطر الأمراض وشرّ الآفات .

فالجزائريون الذين يقطنون في المدن والقرى الكبيرة منازلهم غير صحية في أغلبها، وهذا جعلهم يتعرضون لأمراض مختلفة ولا يستطيعون تحمل نفقات العلاج؛ إذ أن الأغلبية الساحقة من السكان عمّال فقراء، أمّا عن أولئك الذين يسكنون الخيام يعيشون معيشة شقاء يموتون موت العذاب الأليم بسبب تلك الأمراض الفتاكة التي تقضي على عدد كبير منهم.

تلك هي الحالة الصحية لغالبية المجتمع الجزائري، أما عن حالة الأطفال فقد نشرت دائرة الإحصاء الصحي في الجزائر تقريرا مفاده أنه في سنة 1919م كانت أموات الأطفال قبل بلوغ العامين في العاصمة الجزائر 44.66 في الألف للأوربيين، و138.17 في الألف للمسلمين، ومثل هذا الرقم الأخير يدل دلالة واضحة عن الحالة المقلقة التي يحياها شعب بكامله، دون أن ننسى آفات أخرى تنحر كيان المجتمع وذلك بسبب ضعف الوازع الديني في النفوس ما نتج عنه زيادة في فقر الأهالي وضعف في قواه وإقباله على الجرائم المهلكة [1].

ب.الوضع الاقتصادي :

لم يكن احتلال فرنسا للجزائر وليد الصدفة، وإنما نابع من أهمية الجزائر الإستراتيجية، والاقتصادية، فلم يكتف الاستعمار الفرنسي بالاستلاء على ما فوق الأرض، بل استحوذ على كل ما تحتها أيضا؛ فمعادن القطر الجزائري كثيرة، لذلك تعمد الاستعمار إعدام كلّ حركة صناعية في البلاد لكي لا يحدث صناعة في القطر الجزائري يزاحم بها معامل فرنسا، والعامل الجزائري كان يعمل كثيرا ويربح قليلا؛ فبقدر ما تزداد ثروة الأروبيين بقدر ذلك يزداد فقر الجزائريين؛ فقد

1 محمد طمار، تاريخ الجزائر، ص 325.

تعهدت فرنسا سياسة تفقير الأهالي والقضاء عليهم، فلا نعجب حينئذ تجاه هذه الحياة أن تكون الأمة الجزائرية لذلك العهد في حالة مرض مزمن.

فكما نلاحظ أن الحالة الاجتماعية والاقتصادية كانت تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي يتصرف فيها وفقا رغبته وما يخدم مصالحه ولا يولي أي اهتمام لما يخدم مصالح الشعب الجزائري صاحب الحق في بلاده وثرواته؛ فقد تعهدت فرنسا سياسة تفقير الأهالي والقضاء عليهم .

3. الوضع الثقافي :

إنّ الظروف الاجتماعية والسياسية التي اكتنفت حياة الشعب الجزائري كانت كما رأينا ظروفا مضطربة متقلبة تخضع إلى زاج الغزاة المحتلين، وقد انعكست آثار هذه الظروف على الجانب الثقافي؛ فثقافة الجزائر قبل الاحتلال كانت إسلامية عربية، وكانت الكتاتيب والزوايا منتشرة انتشارا مذهلا في جميع أنحاء البلاد[1]، فمدينة الجزائر وحدها كانت تحتوي سنة 1840 على أربعة وعشرين مسيدا (أي كتابا) يدرس فيه أكثر من ثمان مائة تلميذا لم يبقى منها في شهر فبراير سنة 1846 سوى أربعة عشر مسيدا لا تضم سوى أربع مائة تلميذا وذلك حسب تقرير المسؤول على التعليم العمومي في الجزائر "دشي" [2].

لقد حاول الاستعمار الفرنسي أن يوظف كل ما لديه للقضاء على مصادر الثقافة الوطنية التي تعد من أقوى العوامل التي تعرض أهدافه وجهوده للضياع[3]، كما حاول تجريد الأمة الجزائرية من روحانيتها الإسلامية، وذلك بغلق المساجد وتحويلها إلى كنائس، وثكنات ومستوصفات وأماكن للّهو والفساد، بغية تخريب القيم الروحية هناك، وخير شاهد على ذلك استلاء الغاصبين

1 نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرافض والتحرير، دار العلم الملايين بيروت، لبنان، ط1، 1911، ص 43، 44 .

2 آسيا شرطيوي، الدعوة إلى العلم في الشعر الجزائري الحديث (1945/1920) رسالة ماجستير، قسنطينة، الجزائر، 2009/2008، ص 10.

3 عبد القادر فضيل، محمد صالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007، ص 91 .

على أعظم مسجد بعد الاحتلال في مدينة الجزائر " مسجد كتشاوة" وحوّلوه إلى معبد المسيح وقد أرسل قائد الحملة الفرنسية إلى الفرنسيين بقوله:" إنكم جئتم معنا هنا لتفتحوا من جديد أبواب المسيحية في إفريقيا ".

لقد أدرك الاستعمار خطورة الدين الإسلامي، وأنه لا يمكن اقتلاعه إلا بإبادة الأمة الجزائرية وهذا ما لم يتوصل إليه الاستعمار، فانتفضت ضدّه الجماهير لما رأت الصليب يعلق فوق المساجد واسترخصت الدم والروح في سبيل نصرة الحق وإعلاء كلمة الله، يقول الحاكم الفرنسي :" إننا لا ننتصر على الجزائريين ماداموا يقرؤون القرآن، ويتكلّمون العربية فيجب علينا أن نزيل القرآن الكريم من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم[1]" .

و لم يتوقف حقد الاستعمار المعادي للإسلام في الجزائر عن هذا الحدّ، بل تعدّاه إلى غلق المحاكم الإسلامية، يقول أحمد الخطيب:" ففي 28 أغسطس 1874 صدر أمر بغلق المحاكم الإسلامية بمنطقة القبائل " [2].

كانت الإدارة الفرنسية أيضا تقايض الجزائري في دينه، فلقد جعلت التخلي عن الإسلام شرطا أساسيا ليحصل الفرد الجزائري على الجنسية الفرنسية وبالتالي حق المواطنة ليتمتع بكامل حقوقه في البلاد، مثله في ذلك مثل أي مواطن فرنسي آخر، أما إذا تمسك الجزائري بإسلامه فهو حينذاك أهلي "INDIGENE " أي رعية محرومة من جميع الحقوق، ولا يقوم إلا بالواجبات[3].

وبعد ذلك أخذ الاستعمار الفرنسي سياسة أخرى، ممثلة في التنصير، ففتح بابا لنشر الدين المسيحي، وسحق المعالم الإسلامية ورموزها حتى يقيم للصليب أرضا في قلب هذه الأمة وحملات

1 عبد الحليم بوزيد، الاتجاه الإسلامي في الشعر الجزائري الحديث من سنة 1920 إلى 1962، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، الجزائر ، 1413هـ، 1992، ص7، 8.

2 المرجع نفسه، ص 12.

3 ينظر: محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 263 .

التنصير التي شنها الاستعمار الفرنسي كانت على شكل حملات تبشيرية يقودها مبشرون يعرفون بالآباء البيض*، لتنصير أبناء الجزائريين ممن استشهد آباؤهم[1].

في ساحات الجهاد كما استغل الاستعمار كوارث المجاعات والأوبئة الفاتكة التي اجتاحت الجزائر في عهد الاحتلال فجمع الأطفال الصغار في مراكز خاصة من أجل تنصيرهم[2].

وفي نفس السياق وجه الاستعمار الفرنسي ضربات قاسية للمثقفين الجزائريين، فقتل من قتل، ونفى من نفى، وزج في السجون بمن شاء، واضطهد كل من بقى طليقا، قصد منعه من القيام بواجبه نحو المجتمع حيث أن إدارة الاحتلال فرضت عقوبات صارمة ضدّ كل من تسول له نفسه حَذْوَ حَذْوَ هؤلاء واقتفاء سبيلهم، فقد ذكر الفضيل الورتلاني أن معلمي اللغة العربية مثلا كانوا يساقون في السجون مثلهم مثل اللصوص والمجرمين ليحاكموا على صعيد واحد، وبإمكان رحمة القضاة أن تنال بعض القتلة واللصوص لكنها ما جرت يوما أن تنال معلمي اللغة العربية[3].

ولم تكتف السلطات الاستعمارية بسد أبواب التعليم في وجه الجزائريين، بل بذلت كل ما في وسعها لمحاربة اللغة العربية[4] لتترك المجال للغة الفرنسية تحل محلها فاللغة العربية كانت في المدرس لغة ثانوية اختيارية كأنها لغة أجنبية في بلادها، واستبعدت عن جميع الشؤون الادارية فقدت قيمتها، وأصبح لا جدوى ولا فائدة من تعلمها لأن المتخرجين من التعليم العربي، لايستطعون أن يجدوا مهنة تخوّلهم الحق في كسب قوت العيش ما يخولهم إلى ذلك التعليم الفرنسي.

وقد استبعدت سلطات الاحتلال اللغة العربية من التعليم بحجة أنها تعدّ لغة كلاسيكية ميتة لا تتلاءم والتطور الحضاري الذي يشهده العالم، وفي المحيط الاجتماعي استبدلت معظم الأسماء العربية

- الآباء البيض: هي جمعية إرسالية تبشيرية كاثوليكية، أسسها شارل ألمان لافيجري، في الجزائر عام 1868 وأصل تسميتها بالآباء البيض، الثوب الأبيض الذي اتخذوه زيا لهم انسجاما مع الزي التقليدي الذي كان يرتديه سكان شمال إفريقيا.

1 عبد الحليم بوزيد، الاتجاه الإسلامي في الشعر الجزائري الحديث، ص 08 .

2محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص10 .

3 العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، اتحاد الكتاب العرب، الجزائر، د.ط، 1999، ج 1، ص 20 .

4 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900، 1930، ص 61 .

للشوارع والمدن بأسماء لقادة الغزو العسكري والفكري مثل: بيجووكوزيل، لافجري ... ولأعلام الفكر والثقافة والأدب الفرنسي مثل : ديكارت، ولامرتين[1].

وفي جميع هذه المجالات كانت محاربة اللغة العربية تهدف إلى بلوغ الغايات التالية :

أولا : كونها وسيلة للتواصل بين أفراد المجتمع الجزائري، فيكون المساس بها زعزعةكبيرة لتماسكه، وإخلال قويا لتوازنه .

ثانيا: كونها وعاء للثقافة فيصبح كسر هذا الوعاء خسران للمادة الثقافية التي يحتويها فاستهدفتها لتجهيل الشعب ثقافته.

ثالثا: كونها لغة القرآن، فمثلت محاربتها الخطوة الأولى لهدم ثاني أهم دعامة تتأسس عليها الشخصية الجزائري و هي الإسلام[2].

ورغم هذه الأوضاع المضطربة والضغوط والقوانين الخانقة لإرادة الشعب والمصائب التي ألمت به لم يثن ذلك من إرادته و لم تضعف من عزمه فقامت طائفة من أبنائه يحاولون فتح كتاتيب وزوايا، إدراكا منهم أن العلم يحي ضمائر الناس ويبعث فيهم الأمل؛ فالفكر لدى أي أمة من الأمم عمادها وذخرها، ودافعها ومحركها ومكانة في جسد الأمة، كمكانة العقل في جسم الإنسان[3].

لدلك أصروا وركزّوا تركيزا شديدا بالقول والعمل معا، على ضرورة نشر العلم، والاهتمام بقضية التعليم التي اعتبرت في تلك المرحلة من أولويات القضايا فكان للشعراء في تلك الفترة نصيب وافر من المشاركة فيها قولا وعملا دعوة وممارسة، بحيث لا تكاد تخلوا قصيدة واحدة من شعر تلك الفترة إلى الدعوة إلى العلم وإلى محاربة الجهل بالتعليم لتمكين المجتمع من إدراك أوضاعه ودفعه غلى استيعاب مفاهيم الإصلاح والتطور وتبنيها لتغيير واقعه المرير [4].

---

1 آسيا شرطيوي الدعوة إلى العلم في الشعر الجزائري الحديث، ص 12 .

2 المرجع نفسه، ص 20.

3 عيسى بن ساعد مدور، الخطابة في النثر الجزائري الحديث، ص 50 .

4 آسيا شرطيوي، الدعوة إلى العلم في الشعر الجزائري الحديث، ص 15.

فهذا الشيخ محمد بن أبي شنب يأخذ في وصف قيمة العلم و أثره في تقدم الشعوب، يقول:

هُوَ لَعِلْمُ عُمْرَانٍ وَأُسٌّ بَلْدَةٍ وَمَرْقَاةُ أَحْسَابٍ وَطِبٌّ الضُّعَفَاءِ .

إضافة إلى محمد العلمي، الذي تحدّث بدوره عن العلم في قصيدته: "لا حياة إلا بالعلم والذي يقول في مطلعها :

اللهُ أَكْبَرْ كَمْ في العِلْمِ مِنْ حِكَمٍ وَمِنْ سَنَاءٍ وَ كَمْ فِي الجَهْلِ مِنْ سَقَمِ [1]

لقد تنبهت نخبة الأمة، من مصلحين وأدباء وشعراء وعلماء ... إلى خطر الجهل على مجتمعهم وكيف يمكن أن يكون عاملا من عوامل استمرارية الوجود الاستعماري بمساوئه وتبعاته؛ ففرنسا لم تأت لإتمام البناء ،بل عملت بكل ما تملك من جهود لتقويضه، ومن مظاهر ذلك ما سعت إليه لتجفيف منابع العلم وقطع الطريق أمام طلابه .

1 عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشعر الديني الإصلاحي، ص 26، 27 .

الفصل الثاني

تجليات الالتزام في شعر محمد العيد آل خليفة

كثرت الأقلام التي رافقت أحداث الثورة، وتناولتها من جوانب شتى، والغاية من ذلك التعريف بالعطاء الأدبي خلال هذه الفترة و تقويم دوره، ومدى التصاقه بها، فسجل منذ القرن الماضي استمرار خط الرفض الذي تجسد بقيام حركة الإصلاح والأحزاب السياسية وكان منهم شعراء ينطقون باسمها أو يعبرون عن روحها وأهدافها.[1]

لقد أدرك الاصلاحيون خطورة تحوّل الوجود الفرنسي من احتلال عسكري متسلط إلى استعمار مقيم، أخذت ثماره تظهر بوضوح مهدّدة بالفعل الكيان الجزائري، وقد تفطن الشعراء لذلك فتحوّلوا من متفجّعين ومحمسين للجهاد إلى أصحاب دعوة للوعي السياسي والقومي.[2]

فكان الشعر في الحقيقة أداة فعالة من أدوات المقاومة، التي تستعملها كثير من الشعوب لمواجهة العدّو، ومع هذا النحو على صوت رائد الشعراء الجزائريين في العصر الحديث محمّد آل خليفة* مدوّيا في ساحة الجهاد في أرض الجزائر وكان جديرا بكل مانال من ألقاب دلت رسوخ القدم في ميدان الشعر، فقيل عنه: شاعر النهضة الجزائرية وشاعر الشمال الإفريقي وأمير الشعراء[3].

بالإضافة إلى ذلك يعد محمد العيد آل خليفة من رواد الشعر العربي الحديث، ومهما في تبيان أهمية شعره، فلن نقول أكثر مما شهد به رئيس جمعية العلماء وشيخ الأدباء البشير الإبراهيمي، الذي قال عنه:" ومن يعرف محمد العيد آل خليفة، ويعرف إيمانه، وتقواه، وتدينه وتخلقه بالفضائل الإسلامية، يعرف أن روح الصدق المتفشية في شعره، إنما هي من آثار صدق

1 نور سليمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص 215 .

2 ينظر: صالح خرفي، الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 33.

- هو محمد العيد آل خليفة ولد في مدينة عين البيضاء بتاريخ 27 جمادى الأولى 1323 هـ.، الموافق ل. 28/أوت 1904 م، وهو عائلة دينية محافظة متصوّفة تنحدر أصلا من بلدة كوينين من ولاية واد سوف، حفظ القرآن الكريم وأصول الدين عن علماء البلدة إلى تونس (جامع الزيتونة) للتحصيل، صدر ديوانه سنة 1967 عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

3 ينظر محمد مصايف، فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث، ص 06 .

الإيمان وصحة التخلق، ويعلم أنه من هذه الناحية بدع في الشعر ورافق شعره النهضة الجزائرية جميع مراحلها، وله في كل ناحية من نواحيها، وفي كل طور من أطوارها، وفي كل أثر من قصائد، وتقاطيع خالدة، فشعره- لو جمع- سجل صادق لهذه النهضة وعرض رائع لأطوارها..."[1].

فكان سجلا أمينا لأحداث الوطن، ومعبرا عن آمال الأمة وآلامها، فمنذ وعى الواقع البائس المحيط بوطنه وأهله، أدرك أنه مسؤول عن بذل طاقته في سبيل تغيير هذا الواقع فكان شاعرا بقضية بلاده قبل أن يكون شاعرا متاع فني .

1 صالح خرفي، صفحات من الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1972، ص 189 .

المبحث الأول:

الالتزام السياسي.

إن الشعر الجزائري الحديث، ولاسيما شعر محمد آل خليفة، حاله كحال أي نتاج أدبي من رحم الأحداث، وحركة التغيير الدائمة في المجتمع وعلى ذلك يصح أن نسميه أدبا ثوريا؛ حفل شعر محمد العيد بالقصائد السياسية، والمقطوعات الوطنية الحارة، وذلك ما نجده في باب " ثوريات"، من ديوانه الذي حفل بقصائد تعو عن كفاحه، فلم يعد يُطلق أنة حزين مغلوب على أمره لا حيلة له إلا الصبر ريثما يأتي الفرج، بل غدا صوتا غاضبا متمّردا ينظم شعرا كاللّهب يحّرض فيه شعبه ويدعوه إلى الكفاح وترك الخوف إلى عدم الاستسلام لغاصبيه[1]:

أُنَادِيكَ لِلْخَيْر خَيْـر نِدَاء وَأُوصيكَ حَقَّ الوَصيَّ.

ذَر الخَوْفَ تعرفْ ثَنَايَا السُّلُوك فَمَنْ هَابَ خَابَ وَضَلَّ الثنيَّةَ.

أَبَيْتُ المنَايَا سَبيلَ المنَى فَخَاطْر تُصبْ مُنيَّةً أُومنيَّةَ.

تَولَّى زَمَانُ الرِّضَا بالهَوان وَوَافَى زَمَانُ الفدَى الضَحيَّةَ.

أَنَصْلَى الجَحِيمَ،وَنُسْقَى الحَميمَ وَنَرْعَى الوَخيمَ ،وَنُعْطى الدَنيَّةَ.؟

أَفِي عُروقكَ، أَزكَى الدِّما أَما في فُؤَادكَ أَذْكَى الحَميَّةَ .؟[2]

ويطلب إلى فرنسا أن نرفع الحجر عن الشعب الجزائري، لأنه لم يعد قاصرا عن ممارسة حقوقه بنفسه كما كانوا يقولون، بل أصبح في مستوى فرنسا وعيا ووزنا، ويقول إن الحقوق

1 حسن فتح الباب، شاعر الجزائر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2002، ص 53 .

2 محمد العيد آل خليفة، "الديوان"، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2010، ص 380 .

نطلبها منك ليست صدقة تعطينا إياها، ولا منَّة تمين بها علينا، وإنّما هي حق واجب نقاضيك به، ودين مستحق يجب أن ترديه إلينا، لأنه قد حان وقت استرجاعه منك طوعا أو كراها:[1]

فَخَفِّفي الحِجْرَ عَن إنَّا نُضَاهِيكَ شُدَا .

إنّا نُقَاضِيكِ دَيْناً قَدْ آنَ أَنْ يُستَرَدَّا .

حَقًّا لَنَا مْنكِ قْضَى لَا نْعَمةً مْنكِ تُسْدَى.[2]

ويشكوا اليها الولاة الذين يريدون أن يسعدوا على حساب الشعب وأقواته المحدودة يريدون أن يبقى الشعب دائما خادما لهم، ثم يهددها ويفاخرها، بأنّنا ننتمي إلى دين حنيف، منيف وأن الذي يسمونا الهوان يؤذي بذلك الإسلام والعروبة:

نَحْنُ الحَنيفُونَ دِيناً نَحْنُ الْمُنيفُونَ مَجْدَا.

مَنْ سَامَنَا الهَوْنَ آذَى مُحَمَّدَا أُومَعَدَا.[3]

وقد ينظم أبياتا هادئة، ولكنها حادة السخرية، لاذعة كالسياط، ونرى هذا النموذج في قصيدة "جدّ في هزل وهزل في جدّ"، والتي يشير فيها إلى أساليب الإدارة الاستعمارية، متهكما نبرة هازئة قاسية[4]:

إنْ مُتَ شَبْعَا وَريَّا وَ أَنْ تَعيشَ هَنيَّا .

فَلَا تَكُنْ حُرَّ كرٍ وَلَا تَكُنْ وَطَنيَّا .

وَلَا تَسَلْ أُوتُحاولْ مِنَ المطَالِبِ شَيَّا.

هذا الَّذي تَتَرَضَّى به الفتَاةُ (مَريَّا).

1 أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة، رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، دار المعارف بمصر، ط2، د.ت، ص 152 .

2 محمد العيد، "الديوان، ص 213 .

3 المصدر نفسه، ص 220 .

4 حسن فتح الباب، شاعر الجزائر، ص 53 .

وَإن ترُدْ غَيرَ هَذَا فَلْتُجْني تَهيَّا.
فَمَا تَعدُّكَ إلَّا شَرَّ العبادِ شَقيَّا .[1]

ومحمد العيد يبشر بميلاد عالم جديد، وعهد سعيد، يفعل الثورة والمكافحة، وتضحية حتى الموت في سبيل وطنه، وأرض أجداده من خلال قصيدته "مناجاة بين أسير وأبي بشير"، يقول فيها:

دَنَاتُ السَّلامَ غَدًا تدُوِّي فَيُسكِتَ صَوْتَهَا صَوْتَ النَّفيرِ .
كَأَنّي بالجَزائرِ في ابتهاجٍ بنِصرتِها عَلَى الباغي المتغيرِ.
وَلَا تُزعجْكَ آلَافُ الضَّحايَا وَما أجْراهُ مِنْ دَمِهِ الغزيرِ.
فتلْكَ شَهادَةُ الشُّهَدافِيه وذَلكَ أَجْرُ مطْلَهَا الكَبيرِ.
أَتَى اسْتقلَالُهُ حَتمًا فَأَبْشِرْ وبَشِّرَ ما لقَولِكَ مِنْ نكيرِ .[2]

كما نجده يفتخر برمز من رموز الوطن، وهو العلم الجزائري، ويتساءل عن عدم رؤيته رغم غلاء ثمنه ويقسم بأرواح الشهداء أن يسخر الجوارح كلها لخدمته، ويضحي بنفسه وبماله ليحله في أعز مكانة:

لَم لَا أَرَى اليْوَمَ أَ فْيَ ايَةً وَقَدْ اُشْتريتَ بأَ فْعِ الأَثْمانِ.
قَسَمًا بأَرْوَاحِ الَّذينَ اسْتَشْهَدُوا بدَمائكَ مطْعانًا عَلَى مطْعانِ.
وَبَما شَهدْتَ مَنَ المَعارك شَامخًا تَعْلُوا الأَطْوادَ والكُثْبَانِ .
لَأُسَخرنَّ لَكَ الجَوَارَحَ كُلَّهَا وَلَأَخْدمَنَّكَ خدْمةَ الْبُدانِ.
وأُضَحينَ عَلَيكَ مِنْ نَفْسي وَمِنْ مَالي بلميءُ رضيكَ مِنْ قُربَانِ .

1 محمد العيد، "الديوان"، ص 118 .
2 المصدر نفسه، ص 387 .

حَتَّى أُجِلَّكَ في أَعزِّ مكَانَةٍ يسْمُو بهَا وَطنِي عَلَى الأَوطَانِ.[1]

وقال محمد العيد مؤيدا الدفاع الوطني المسلّح :

لَم نَنْسَى (مَايوُ) لَا وَلَا مأَسَاتَهُ حَتَّى جَبَهْنَا الغَاصِبَ المجبَرا .

وَتحَوَّلَتْ لُغَةُ التَّخَاطُبِ بَيْنَنَا لُغَةً بِهَا جَوَّ السَّلَامِ تَعكَّرا .

قُمنَا إِلَى شَّاشِنَا بَرِصَاصِنَا نَسْقِيهِ وَابِلَهُ الوَبِيلَ المخَطَرَا .[2]

فاختيار الشاعر لطريق المقاومة المسلحة واضح في شعره،و قد تجلى موقفه هذا في التأييد ودعوة الشعب إلى الانضمام إليها، لأن دروب الحرية بكل ما يحيط بها من أعاصير هي أفضل هدوء العبودية الرتيب، والشاعر جزء من الثورة يسكنه جنونها، وتضطرم في نفسه نارها الهائلة ومن تعبيراته المستورة قوله يخاطب الحرية :

مَنْ كَانَفِي العُ شَّاقِ بِاسْمِكِ نَاطِقًا فَكَأَنَّمَا هُوَ نَاطِقٌ بِمُحَالِ.

وَالْهفَةُ عَلَيْكِ حُسْنكِ فَاتِنٌ وَهَوَاكِ مَمْنوعٌ وَوَصْلُكِ غَالِي.[3]

ومن تعبيراته المكشوفة عنها قوله يخاطب المسؤوليين الجزائريين :

الشَّعْبُ ضَجَّ مِنَ المظَالِمِ فَانْشُدُوا حُرِّيةً تَحْمِيهِ وَ اسْتِقْلَالَا .

لَا آمَنُ إِلَّا فِي ظِلَالٍ مَرْفُوفٍ حُرٍّ لَنَا عَالٍ يُنِيرُ هِلَالَا.[4]

ولم يستثني محمد العيد، المرأة من شعره فهو يدعوها للنضال، وأن تلتزم هي الأخرى بالدفاع عن قضية بلادها، شأنها في ذلك شأن الرجل يقول :

فَلْنُثْرِ ثَوْرَةً رَعَلَى الظُّلْمِ كُبْرَى وَلْنُحطِّمْ سَلَاسِيلَ الأَقْيَادِ .

1 المصدر السابق، ص 270.

2 المصدر نفسه، ص 325 .

3 المصدرنفسه، ص 380 .

4 المصدر نفسه، ص 385 .

وَلْنقُمْ مِنْ قُيُودِنَا فَهُوَ عَارٌ هَلْ يفِيدُ الرُّقَادُ غَيْرَ الكَسَادِ.

وَلْنَصِحْ صَيْحَةَ اللَّبُؤَاتِ فِي الغَا بِ لنَحْظَى بِحُرْمَةِ الآسَادِ .

وَ"الجَمِيلَاتُ" كُرِيَاتُ اصْطِبَارٍ وَانْتِصَارٍ عَلَى الخُطُوبِ الشِّدَادِ[1] .

ربما يخطر على بالنا ما علاقة التمّرد والرّفض بالالتزام؟ فنجيب بأن ظهور ونشوء الموقف الذي تضمنته الواقعية هو أساس الالتزام، منبثق من التمرد والرفض والثورة على الوقع الاجتماعي والإنساني.

ومن الموضوعات السياسية الهامة التي نظم فيها محمد العيد، موضوع الوحدة، وحدة الجزائر، ووحدة المشاعر الشعبية، فهذا الموضوع قد ظل الاستعمار يعمل أن لا يرقى إلى في السياسة والثقافة، حتى يبقى على تجزئة البلاد وتكوين العناصر القبلية، لذلك حاول القادة السياسيون، ان يربطوا أفراد الشعب نفسيا واجتماعيا، ويحدثوا بينهم تجاوبا لا يقتصر على الدين فحسب بل يتعدّاه إلى العقيدة السياسية والثقافية والوطنية، ونجحوا إلى حد بعيد في تجميع هذا الشعور، غير ان أول من تعرض له بصراحة و أشاد بهذه الوحدة القومية من الشعراء هو محمد العيد آل خليفة.[2]

ففي قصائده إشارات كثيرة إلى الّرباط المقدس بين أبناء الشعب، وفيها اشادة بالمصير الواحد وتذكير دائم بالعدو الواحد الذي يقف بالمرصاد لكل و طني، من غير أن يفرق بين والغرب أو الشمال والجنوب من أوضح قصائده في هذه الفكرة قصيدة التي سماها " أبى الله إلا يضّم قلوبنا" وقد ألقاها في أحد احتفالات مدرسة الشبيبة بالعاصمة سنة 1937 وجاء فيها هذه الأبيات:

وَهَبْتُكِ وُحِي يَاجَزَائِرِ فَامرِي كَمَا شِئْتِ إِنِي خَاضِعٌ لَكِ خَادِمُ.

1 المصدر السابق، ص 392 .

2 أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة، رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ص 158 .

حَماكِ بَيْعٌ لِي وَ إنْ كَانَ جَاحِمًا عَلَيَّ، وَهَلْ يصْلَى لَهِ يلُك جَاحِمُ؟.

وَقُربَاكِ هُمْ قُرباَي لَسْتُ مُبالِياً أَعَادِيبُ هُمْ فِي جَنْبِهِمْ أَمْ أَعَاجِمُ .

فَخُذْ مِنْ دَمِي يَا ابْنَ الجَزَائِرِ إنَّنِي أَخٌ لَكِ فِي كُلِّ الحُظُوظِ مُقَاسِمُ.[1]

ومن موضوعات الوحدة كذلك ما ذكره في قصيدته الطويلة التي عنونها بقوله (وما نحن أمة ذات نسبة) والتي أنشدها في احتفال كبير بمدينة باتنة، وفيها يقول: إننا نحن عرب الجزائر ننتمي إلى أمة عربية، موحدة ولو أراد الأعداء أن يفصموا عراها السماوية لأعجزهم ذلك، لأننا شعب متجاوب يشعر بوحدة أجزائه وقوة بنيانه الوطني، حتى لو حل بابن الأوراس مكروه أخوه في جرجرة بحمية وأيثار:[2]

وَما نَحْنُ إلَّا أُمَّةٌ ذَاتُ نِسْبَةٍ سَمَاوِيَّةِ الأَسْبَابِ لَنْ تَتَقَطَّعَا .

وَذُرِّيَةَ الأَطْلَسِ الفَخْمِ لَوْ بِهِ تَصَدَّتْ لَنَا (ذُرِّيَةً) مَا تَصَدَّعَا .

إذَا مَا دَاعَنِي (تُوقَرْ) بِأَنْ أَجَابَهُ (بِجُرْجُرَةَ) ابْنٌ لَيْسَ يَخْذُلُ مَنْ دَعَا .[3]

وقد عزف محمد العيد كثيرا من أنغامه على قيثارة العروبة ووحدة شعوبها، انطلاقا من انتمائه الأصيل إلى أمته، وموقفه المبدئي من قدرتها على انتزاع حقوقها المغتصبة، وتحقيق آمالها غد مشرق إذ عادت إلى منابعها الأولى، وأحيت أمجاد الأسلاف، فلا غرو أن يجهر بصوته في الدّفاع عن قضاياها، ومشاركة الأقطار العربية في مآسيها الكثيرة، وأفراحها القليلة، مدركا أن قوّتها في وحدتها، وضعفها في تفكيكها، ففي قصيدته"العروبة أمّنا الكبرى" التي نظمها 1964يقول[4] :

1 محمد العيد، " الديوان"، ص 390 .

2 أبو القاسم سعد الله ، محمد العيد آل خليفة، ص 159.

3 محمد العيد، " الديوان"، ص 386.

4 أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة، ص 160.

مَا نَحْنُ إِلَّا إِخْوَةٌ مِنْ أُسْرَةٍ كُرَمتْ أَ وُمُتَهَا وَ طَابَ المحِيدُ.

إِنَّ اللُّغَ ُروبةَ أُمُّهَا الكُبْرى الّتِي فِ ي الأُمَّهاتِ نَظِ يرُهَا لَا يوُجَدُ[1].

ويقول في قصيدته "هذه قمة الفتوة" مؤكدا انتماء الجزائر إلى هذه الأمة، ومبشرا بوحدة المغرب على درب الوحدة الكبرى :

وَلنَا أُمَّةٌ ُروبةَ أُمٌّ ذَ اتُ عَطْفٍ عَلَى (الجَزَائِ رِ) حَانِ.

(وِحْدَةُ المغْ رِبِ)اسْتَعدَّتْ ظُهُ ورَ وَاسْتعَزَّتْ بِوِحْدَةِ ُربَانِ.

فَتحَتْ (لِيبيا) إِلَيْنَا يدَيْهَا وَعلَى الأُوسَطِ انْحنَى المغْ رِبَانِ.

وَإِلَيْنَا (الحجَازُ) وَ(اليَمَنُ) انْحَ اَز وَ جَادَ (الكُوِيتُ) بِالَرنَّانِ.

نَحْوُفِ ي (مِصْرَ) وَ(العِراقِ) هَوى الشَّعْبُفَوِ ي (سُورِيا) فَوِ ي (لُبنَانِ).

وَ(بِشَرْقِ الأُ ُرْدُنِ) حُزْناً وَفِ ي (مَا لِي) عَلَى رِفْعةٍ وَفِ ي (السُّودَانِ) .[2]

وشعر محمد العيد لم يقتصر على القضايا المحلية، بل ساير الحركات التحررية في إفريقيا وشارك في القضايا الإنسانية عموما، ونمثل لذلك بقصيدته (يا شرق)، والتي يقول فيها :

يَا شَرْقُ حذْ لَكَ ِمنْ جِيرةٍ هَامُوا بِحُبِّ الجوْرِ مُذْ هَيْمنُوا.

يُ ؤْمِنُفِ ي الجِقِرِ وَحْشُ الفَلَا يَا شَرْقُ وَالغَرْبِيُّ لَا يؤُمِنُ.

أَما تَرى لَكَ الغرَبُ وُدِّ حُلْوةً وَ تَحْتَهَ ُبِطُنَامِ ُبْطُنِ.

أَما تَرَى الأَحْبَاشَ لَم يحْمِهِمْ حَامٍ سِوَى مَا يدُهِنُ الُمدْهِنُ.

دَخَائِلُ الأَقَوامِ مَدْخُولَةٌ فَلَا يغُرَّنَكَ مَا أَعْلَنُوا [3]

1 محمد العيد، "الديوان" ، ص 340.

2 المصدر نفسه، ص 120 .

3 المصدر نفسه، ص 135 .

التزام الأديب بقضايا مجتمعه وشعبه لا ينبغي أن يجره إلى ضرب من الإقليمية، فمن الأديب أن يلتزم التزامين، احدهما إزاء وطنه الصغير والآخر حيال وطنه الكبير وأمته العربية ومحمد العيد آل خليفة كان شعر رسالة؛ فقيمته الشعرية لا تنبع من عبقرية الموهبة الفنية بقدر ما ترجع الى مقاصده.

المبحث الثاني :

الالتزام الاجتماعي

لاشك في أنّ قيمة الشعر تنطلق من طريقة تعاطيه مع الموضوعات الاجتماعية للحياة، ولا سيما الموضوعات المصيرية في حياة الإنسان، فالأديب إنسان يعيش ضمن مجموعة من البشر معهم التأثر والتأثير، ويشاركهم الهموم والتطلعات، فهو لا يعيش في فراغ زماني أو مكاني، يعيش ضمن مجتمع حي متحرك يهدف إلى التطور والتقدّم نحو الأفضل[1]، كما يهدف إلى قضاياه الاجتماعية التي تقف عائقا في طريق هذا التحرك المستمر والمتجدد، فهو يتأثر بكل اهتزازات الذبذبة الإنسانية سلبا و إيجابا، ويتأثر بكل ألوان الطيف الحياتي، التي تنسكب في وجوده كإنسان يمثل طبيعة الوجود، وهو كإنسان وجودي يجب أن يرسم الطريق للأجيال الحاضرة و القادمة عبر أدبه الإنساني[2]:" فالشعر الذي لا يحمل رسالة، ولا يخدم هدفا اجتماعيا يصبح نوعا من الأصوات المجردة التي قد تكون جميلة، وربما مفيدة في الظروف السوية المتقدّمة، ولكنها مهما كان جمالها غير مفيدة ولا جميلة لدى المجتمعات التي تعاني من والظلم السياسي والاجتماعي".[3]

فالشاعر ابن بيئته يستمد منها موضوعاته التي تعكس الواقع بجلاء ولذلك يلزمه الاهتمام بقضايا مجتمعه بحثا، وتمحيصا وتفاعلا، وللاضطلاع بدوره الّرسالي الاجتماعي.

ويمكن القول بأن محمد العيد آل خليفة شاعر التزامي ملتزم بقضايا مجتمعه، دقيق شعبي الإحساس، فقد كان مواطنا قلّما يشعر بذاته وسط الجماعة، فهو في شعره لم يكن يمثل

1 صلاح الدين عبدي، ليلى عسكري، الالتزام في أشعار عبد الوهاب البياتي، اضاءات نقدية، الالتزام، العدد الثاني عشر، 2013، ص 23.

2 بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، ص 50 .

3 جواد اسماعيل عبد الله الهيثم، الالتزام في الشعر الاسلامي الفلسطيني المعاصر، ص 210 .

اتجاها سياسيا معينا، أو يخدم شخصية بذاتها، و إنّما كان يمثل الرأي العام،و يخدم مبادئ الوطني الشاملة، وبذلك جعل موضوع شعره وشعوره هو الشعب عن صدق ووفاء كما يقول :

أَيُّهَا الشَّعْبُ أَنْتَ مَوْضِعُ شِعْرِي وَهُوَ وِرِي لَا يَنْضَبُ وَ لَا الرَّبَابُ.[1]

ويقول بأنه خلق ليواسي المحرومين والبائسين، ويشيد بصرعى الوطنية ويؤبن موتاها المظلومين بقلب جريح وعين دامعة :

يُنَاغِي البَائِسِينَ كَمَا يُنَاغِي أُمِّرِي العَنْدَلِيبُ العَنْدَلِيبَا.

وَيَجْرِي فِي رِثَائِهِمُ اللَّيَالِي وَيَنْهَضُ فِي مَصَابِهِمُ خَطِيبَا.

بِقَلْبٍ بِلَفْظِ الأَنْفَاسِ حَرَى وَعَيْنٍ تَذْرِفُ الدَّمْعَ الصَّبَابَا.[2]

لقد أدرك الشيخ"محمد العيد" منذ وعى الواقع البائس المحيط بوطنه وأهله وأنه مسؤول بذل طاقته في سبيل تغيير هذا الواقع، ففي قصيدته " فاتحة ثناء وابتهال" عبر عن اتخاذه القريض سلاحا يجالد به المهدّدين الغزاة[3]:

فَعَلْتُ الشِّعْرَ فِي الدُّنيَا نَجِيِّي كَانَ لَخَاطِرِي كَالتُّرْجُمَانِ.

وَلَم أَكْفُفْ عَنْ اسْتِنْهَاضِ شَعْبِي بِهِ لِأَفُزَ فِي أَعْلَى مَكَانِ.

لِذَلِكَ جُزْتُ أَنْ يَبْقَى كَذَخْرٍ لِشَعْبٍ فِي رِعَاً لِلْمُكْرِ بَائِي.[4]

فنجدهيعبّر عن الظلم، والفقر، وعما أصاب البلاد من نقص في الأموال، والمرافق، وما بها من الزرايا، وما تعانيه من آلام القيد، وكيف تخفي الدسائس والمؤامرات مطالبها العادلة الخدود، ويرفع الرؤوس انكارا لحقوقها وسخرية بحركاتها:

1 محمد العيد، "الديوان"، ص 402 .

2 المصدر نفسه، ص 359 .

3 حسن فتح الباب، شاعر الجزائر، ص 27 .

4 محمد العيد، " الديوان "، ص 19 .

أَصَابْتنا الجَوانِحَ والزَّ ايا وَاعْوزَّت الفِ قُ وَ الرُّفُودُ.

حَفَتْ أَعَانقُها الأَغْلَالُ ظُلْما وَحَزتْفِ ي سَواعِدنا الْقُيودُ.

وَأَعْلنَّا الْمظَالَم وَ الْشَّكَايا فَاخْفَتَها الْدّسَائسُ وَالْكُيودُ.

وَانْقَضَتْ الْرُّؤُوسُ لَا هُزَّوا اَو نكَ لاَو صُعَّرت الْخُدُودُ

إن إرادة التغيير وعوامل التخلف والقهر جعلتا محمد العيد يتمسك في أعماله الشعرية الحرية الاجتماعية كوسيلة لاستمرار فعالية الوجود الانساني، فنراه يعبر عن مدى انزعاجه من الخيانات والأكاذيب، وينادي الشعب للنهوض، ومباغتة اللص الذي يسرق متاعه، وحريته ويطلب منه أن يخوض غمرات الموت، وينصحه بأن وسيلة الحياة الكريمة والسيادة الحقة هي الأقدام والإخلاص:

فَقُم يا ابْنَ البلَاد الَيْوَم وانْهضْ بلَا مَهْلٍ فَقَدْ طَالَ الْقُ ـعُودُ

وَقُل يا ابْنَ البلَاد لكلُّ لصٍّ تَجلَّى الصُّبحُ وَ انْتبَهَ الرُّقُودُ

فَخُضْ ياابْنء الْجَزائرِ ي الْمنايَا ظُلُ لْكَ الْبنُودُ أو اللُّحودُ

بِإخْلَاصٍ وَاقْدَامٍ وَعلْمٍ يُسُودُ عَلَى الْبَرِيَة مَنْ يسُودُ[1]

ويحث الشعب على الاعتصام بالقوة والتسلح بالعلم الحي للدفاع عن نفسه من ناحية مجتمع سعيد من ناحية أخرى:

ضَغْ ي يدَكَ عَصَا واحْملْ مُبضِعًا يَرْهَبكَ كُلُّ أَخي عَصًا أَوْ مُبضِعٍ[2]

فهو يتأسف لحياة الشعب البائسة من جراء الفقر والجهل والبطالة، والتشرد.... ونجده يصف هذه الحياة ليقدّم صورة ناطقة إلى الذين يزعمون أن الشعب الجزائري يعيش في رغد منذ

1 المصدر السابق، ص 110 .

2 المصدر نفسه، ص 59.

فتح عينه على المدينة الاستعمارية الحديثة، وكأنه يقول لهم إن الشعب الذي يعشش فيه الجهل، وتصطرخ أمعاؤه جوعا، وتصطك أسنانه بردا، تنهشه الأمراض من كل جانب لا يهمه أن يقال عنه إنه شعب متحضر أو بدئي، يقدر ما يهمه أن يعيش حرا تحت سمائه، وفوق أرضه، يأكل ويتعلم، ويعالج بمشيئته واختياره[1].

كَمْ ضَارِبٍ مِنْهُمْ فِي الأَرْضِ مُنْتَشِرٌ ... مَا حَاوَلَ الرِّزْقِ إِلَّا اعْتَاضَ وَامْتَنَعَا.

وَعَائِطٌ ضَعَ الْكَفِّينَ مُقْتَدِرٌ ... مَهْمَا أَتَى مَعْمَلًا عَنْ بَابِهِ دَفَعَا.

وَمُسْتَغِيثٌ وَلِجُ النَّاسِ فِي شُغُلٍ ... عَنْهُ وَطَاوَ وَجُلُ النَّاسُ قَدْ شَبِعَا.

تَوَاكَلَ وَاصَلَتْ نَدْبَ الْبَنِينِ فَمَا ... قَلْبٌ لَهَا حَنَّ أَوْ طَرْفٌ لَهَا دَمْعَا.

وَأَيِّمٌ وَيَتَامَى حَوْلَهَا اصْطَخَرُوا ... فِي اللَّيْلِ وَاصْطَخَرَتْ مِنْ بَيْنِهِمْ هَلَعَا.[2]

ومع ذلك لا ينسى الشاعر أن يذكر الشعب بما يجب عليه أن يفعل إزاء هؤلاء البؤساء والضحايا، وأن يعتب عليه إذا تهاون في نجدة الضعفاء والملهوفين ولم يطبق روح التعاون التي بها دينه، وتقاليده وأخلاقه وإنسانيته العالية :

قِفْ بِالجَزَائِرِ وَ أَلْخِ بِهَا أُمَّةٌ ... يَلْهُو الشِّبَاعِ بِهَا بِجَنْبِ الْجُوعِ.

كَمْ يَلْتَحِقُ بِالْقُرْبِ غَيْرُ مُغِيرٍ ... أُوَيَلْتَحِفْ بِالثَّوْبِ غَيْرُ مُرَقَّعٍ.[3]

وتضج بالشاعر روحه الوثابة، فيحزن على حال الجزائر من شقاء، وبعد عن ركب ويتمنى ذلك اليوم الذي تستأنف فيه رسالتها الجديدة... رسالة تسندها المدارس والنوادي، الأخلاق الكريمة والتعاون الصادق[4]:

1 حسن فتح الباب، شاعر الجزائر، ص 32 .

2 محمد العيد، "الديوان"، ص 210 .

3 المصدر نفسه، ص 95.

4 أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة، ص 145 .

خَطَبَ الجَمَادُ الْحَيُ فَاضْطَرَيْتْ لَهُ وَتَمَوَّجتْ بِخطابِه الآفَاقُ .

وَبنُو الْجَزائِرِ مُلْخِدُونَ إِلَى الْكَرى كَأَنَّنِي بِهِمْ الْغُلاةُ أَفَاقُوا .

وَاسْتأْنفُوهَا نَهْضَةً جِدِّيةً لاَ الْوَهْنِ يدْرِكُهَا لاَ الإِخْفَاقِ.

سَرَتْ الْنَّوادِي وَ الْمَدَارِسَ بَيْنَهُمْ أَسَاسًا عَلَيْهَا شَيْدْتُ الأَخْلاَقِ.[1]

فالجزائر كانت تعيش أوضاعا شاذة ومفاهيم مضغلوطة إزاء مؤسساتها ومساجدها وأوقافها، فقد استولت حكومة الاحتلال على إدارتها، ووضعتها تحت تصرف ولاتها الذين لا يفهمون من روح الشعب قليلا أو كثيرا، ولا يهمهم في شيء أن يجرحوا شعوره العقائدي والقومي، لذلك نجد شاعرنا يحث الشعب على انشاء المدارس وَ تَعْليم الأطفال ، فإن هذه هي مصانع العقول ،وهي التي تستخرج شيئا يؤمن بوطنه وقوميته و بنفسه[2]:

اْبنوُا الْمَدَارِسَ نَضْرَةً مُزْدَانَةً تَحْكِي الْمغَارِسَ فِي الرُّبيعِ الْمونِعِ.

وَابْنوُا الْمَسَاجِدَ حَرَّةً لَيسَتْإِلَى مُتحَكِّمٍ تُعْزَى وَلاَ مُتبَدِّعِ.[3]

إن محمد العيد لما كان ينظم الحوادث واليوميات والوفيات، كان يحس وينفعل، ويعيش مأساة الشعب في الجهل والفقر، الأمراض والنكبات، ويترجم هذه الأحاسيس والانفعالات في شعر صادق نظيف.

1 محمد العيد، " الديوان"، ص 310 .

2أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة، ص 14 .

3محمد العيد، " الديوان"، ص 155 .

المبحث الثالث :

الالتزام الديني

يرجع بعض الدارسين أن الفن نشا في أحضان العقيدة الدينية، والعقيدة التعبير القديم عما نسميه اليوم بالأيديولوجية؛ فالإيديولوجية عقيدة، وكل ما في الأمر أن كلمة عقيدة ارتبطت في أذهاننا خلال التاريخ بالعقيدة الدينية، والالتزام في مفهومه الحديث هو اتخاذ موقف في النزاعات السياسية والاجتماعية معبرا عن إيديولوجية طبقة ما أو حزب أو نزعة، أي عقيدة تلك الطبقة أو الحزب أو النزعة، وهدف الالتزام إسهام الأديب في حل مشاكل المجتمع[1].

استفاد محمد العيد في قصائده من المفردات، التي تدل على التزامه الديني كالحلال الصلاة والزكاة، الصوم والجنة، يوم القيامة... وقد وظف الشاعر الجزائري هذه الألفاظ في قصائده مما يدل على شدة احتكامه بالقرآن واقتباسه منه، ومن ذلك قوله[2]:

مَا بِهَا حَرَجٌ الْحَلَالِ بِلاَ خَوْ ... فٍ مِنَ اللهِ أَوْ أَحَلَّ الْحَرَامُ .

قَأَ يُموا شَعَائِرَ اللهِ وَاخْشَوا ... جَانِبَ اللهِ أَيُّهَا الأَقْوَامُ .[3]

والبيتان يشيران إلى قوله تعالى:"إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ"[4].

ونجد يحذر تارك الصلاة لأن ترك الصلاة من الكبائر. وكأنه تحول إلى داع يدعو الناس فعل الخير، والمحافظة على الصلاة، يقول :

1 صلاح الدين عبدي، ليلى عسكري، الالتزام في أشعار عبد الوهاب البياتي، ص 28 .

2 عبد الحميد بوزيد، الاتجاه الاسلامي في الشعر الجزائري الحديث، ص.134.

3 محمد العيد ، " الديوان"، ص 178.

4 سورة البقرة، الآية 173 .

أَيُّهَا التَّارِكُ الصَّلَاةَأَيْنَ لِي أَيُّ عُذْرٍ تَرَكْتَ الصَّلَاةَ .[1]

وقد استمد هذا اللفظ (الصلاة) من قوله تعالى:" فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ."[2]

كما يوصي محمد العيد بالزكاة، لأنها ركن هام في العقيدة الإسلامية، لأنها شرعت المال وسد حاجيات المؤمنين ومن ذلك قوله :

أَيُّهَا التَارِكُ الزَّكَاةَ لِمَاذَا لاَ تُزَكِّي وَقَدْ مَلَكْتَ النِّصَابَا.

مَرَّ حَوْلٌ مِنْ بَعْدِ حَوْلٍ مِثْلَمَا يَتْبَعُ السَّحَابَ السَّحَابَا .[3]

وقد أخذ الشاعر هذا اللفظ من وله تعالى: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ"[4].

ويذكر محمد العيد الصائم بالأجر الكبير الذي ينتظره يوم القيامة :

سَتُسْقَاهَا مُشَعْشَعَةً وَ مَصْرِفَا مَدَامَا لَذَةُ لاَ كَالْمُدَامِ.

فَلْيَسْتْ تَضُرُّ شَارِبَهَا بِغُولٍ وَلَيْسَ تَجُرُّ شَارِبَهَا لُذَامِ.

يُطَافُ عَلَيْكَ مِنْ وَقْتِ لِوَقْتٍ بِهَا بَيْتَ إِحْتِفَاءٍ وَاحْتِشَامِ.

يَشَّعُ بِكُلِّ بِرِيقٍ سِنَاهَا وَيَعْبَقُ طِيبُهَا مِنْ جَامِ.

وَبَيْنَ يَدَيْكَ خَيْرَاتُ حِسَانٌ قَصِرْنَ عَلَيْكَ فِي أُبَهَى الْخِيَامِ[5].

1 محمد العيد، "الديوان"، ص 219.

2 سورة الماعون ، الاية 04 .

3 محمد العيد، "الديوان"، ص 158 .

4 سورة البينة، الآية 05 .

5 محمد العيد ،"الديوان"، ص 152 .

فمن الخيرات التي تنتظر المؤمن يوم القيامة شربه الخمر اللذيذة التي لا تصيب العقل، ولا تخذّره، وبالتالي لا يناله منها ذنب ولا إثم، يقدمها له غلمان كأنهم لؤلؤ مكنون، وهو رحيق من أصفى أنواع الخمر وألذها .

وقد استلهم الشاعر هذه المعاني من بعض آيات القرآن الكريم ، كقوله تعالى :"فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا عَنْهَا يُنزِفُونَ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ".[1]

ومن الألفاظ التي اقتبسها شاعرنا من القرآن كذلك، لفظ الحجاب، وهي ملازمة لمعنى التبرج، وهو يوجه من خلالها دعوته إلى المرأة المسلمة، والقائمين على شؤونها، بأن تمتثل إلى الله تعالى، والحجاب ستر ووقاية حتى لا يطمع الذين في قلوبهم مرض يقول :

لاَ عْمَهَا كَيْفَ الوِقَايةُ مِمَّا هَاجَتْهَا بِشَرةُ الأَيَّامِ.

لَا تُقَرِنْهَا بِضَاعَةً تَحَاسِينُ كَانَتْ بِهَا الإِمَاءِ نِيَامِ.

كَيْفَ تَنْجُو مِنَ الشَّرِ وَنِسَاءُ يلاَّ وَارِي وُجُوهَهُنَّ لِشَامِ.

عِصْمَةُ الْمَرْأَ احْتِجَابٌ وَصُونٌ لِإِبٌ وَعِفَّةٌ وَاحْتِشَامُ[2].

وذلك إشارة إلى قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا".[3]

1 سورة الصافات، الآية، 43، 49 .

2 محمد العيد، "الديوان"، ص 340.

3 سورة الأحزاب، الآية، 59 .

وتحدث محمد العيد عن يوم القيامة، ليذكر الناس بيوم النفخ في الصور ويبين لهم أن حاصل ما في ذلك شك، ويقول له، كيف تنكره؟ و في نفسك آية لذلك أفلا تبصر ؟ أنك في تكوينك بأطوار قبل أن تستوي على الخلقة التي أنت عليها اليوم:[1]

وَمُسْرِفٌ مُنكِرٌ لِلْبَعْثِ قُلْتُ لَهُ هَيْهَاتَ يُجْدِيكَ يَوْمَ الْبَعْثِ انْكَ للَر

أَأَنْتَ تُنْكِرُ حَالًا لَا تَسْتَحِلُ إِلَى حَالٍ، وَخَلْقُكَ أَيُّ الْعَيْنِ أَظْهَرُ[2]

اقتبس الشاعر هذه الفكرة وهذا الأسلوب في المحاججة مما حكاه القرآن عن المنكرين اذ يتساءلون عن كيفية إحياء الله العظيم الرميم قال الله تعالى: "وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ "[3].

فالمرء يجب ألا ينساق وراء أطماع النفس، بل عليه أن يحذر مفاتن الدنيا وزخرفها وينتبه غرورها وإغرائها ويعتبرها مطيقة إلى الآخرة يغتنم فيها ما يسعده في الدار الباقية، إذ فيها حياته الحقيقية بعد رجوعه إلى ربه[4]، يقول محمد العيد:

إِنَ دُنْيَاكَ فِتْنَةٌ وَمَتَاعُ وَمَدَاهَا الْمَصِيرُ لِلدِينِ.

فَاغْتَنِمْهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ يُكْسَبْ لَكَ مَنْهَجٌ فِي الْعَرْضِ وَالْمِيزَانِ.[5]

وهذا مصدقا لقوله تعالى: " وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"[6].

---

1 محمد ناصر بوحاجم، أثر القرآن الكريم في الشعر الجزائري الحديث (1925-1976)، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط1، 107 .

2 محمد العيد،"الديوا ن"، ص 08 .

3 سورة يس، الآية، 77، 79 .

4 محمد ناصر، بوحجام، أثر القرآن الكريم في الشعر الجزائري الحديث، ص 108 .

5 محمد العيد، "الديوان "، ص 267 .

6 سورة العنكبوت، الآية 64 .

وقوله: يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ."[1]

فهي دار تعب ونصب أمدها قصير حتى أن الكافرين حين يسألون كم لبثتم فيها يجيبون أننا لبثنا يوما أو بعض يوم.

قال تعلى:" وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ".[2]

إذا فلماذا يطمئن إليها الإنسان اغترارا وافتنانا :

هَذِهِ دَارُ كَلْفَةٍ لَا تَوَانٍ فَاجْعَلْ الصَّبْرَ عُدَّةً وَالثَّبَاتَا.

أَيُّهَا المطْمئِنُّ فِيهَا اغْتِرَارًا بِالأَمَانِي، مَتَى مَلَكْتَ الحَيَاةَ.

إِنَّهَا السَّاعَةُ تُمَرُّ كَأَنْ لَمْ تُرْفِ فِيهَا عِيشَةً أَوْ غُلَاةَ.[3]

بل إن الموت ينسي الإنسان الأيام التي قضاها في الدنيا وكأنه لم يعش فيها لحظة واحدة :

قَضَى فَتَخَالُهُ مَا عَاشَ يَوْمًا كَأَنَّ الموْتَ فِي الدُّنْيَا مُزَاحُ.

كانت له نظرات في الحياة الدنيا ،تستمد رؤيتها من توجيهات القرآن الكريم وروحه التي ملأت جوانح نفسه ؛فالحياة الدنيا وما فيها من طيبات الرزق ،وزينة الله غير محرمة على ما دامت غير متنافية مع ما أحلّه الله"قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[4].

وإتيان هذه الطيبات أمر أرشد إليه الله، بشرط عدم إهمال شؤون الدار الآخرة:" وَابْتَغِ آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا "[5].

---

1 سورة غافر، الآية ، 39 .

2 سورة الروم، الآية، 5 .

3 محمد العيد، "الديوان" ، ص274 .

4 سورة الاعراف، الآية 32 .

5 سورة القصص، الآية 77 .

هذه المعاني سجلها محمد العيد في شعره قائلا :

وَلَا تَنْسُوا الدُّنْيَا فَإِنَّ مَتَاعَهَا مَتَاعٌ لَكُمْ فِي الكَسْبِ غَيْرُ مُحَرَّمِ[1].

غير أنه يجب على المرء أن لا ينساق وراء أطماع النفس ،بل عليه أن يحذر مفاتن الدنيا وزخرفها وينتبه إلى غرورها، وإغرائها ويعتبرها مطية للآخرة يغتنم فيها ما يسعده في الدار الباقية إذ فيها حياته الحقيقية بعد رجوعه إلى ربه، قال تعالى :" وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ "[2]، وقوله تعالى: "يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ"[3].

قال محمد العيد :

إِنَّ دُنْيَاكَ فِتْنَةٌ وَمَتَاعُ وَمَدَاهَا المصِيرُ للدَّيَانِ.

فَاغْتَنِمْهَا قَبْلَ المَمَاتِ يَكْسَبْ لَكَ مَنْهَجٌ فِي العَرْضِ وَالمِيزَانِ[4].

وقد طرق الشاعر موضوعات أخرى دينية، تتعلق بأمور العقيدة، حارب فيها أمراض التردد والإلحاد، وكشف أباطيل المستشرقين، وموضوعات تربوية، فلقد جاء شعر محمد العيد بلغة سجل من خلاله أحداث الجزائر ورصد للأمة الجزائرية،و تاريخها، يقول مخاطبا فرنسا ويطابها بالإعتراف بحقوق الشعب الجزائري، والاستجابة لطلبه الملح في الاستقلال:

يَا وَادِي السَانِ* أُورِدْنَا بِالإِحْسَانِ وَلَا تُمْتِنَا صَدًى يَا وَادِي السَانِ.

لَا اسْقِنَا مِنْ حَمِيقٍ بِالشَّذَاعِيقِ لَا تُسْقِنَا مِنْ حَمِيمٍ بِالْأَذَى آنِ.[5]

---

1 محمد العيد ، الديوان، ص 92 .

2 سورة العنكبوت، الآية 64

3 سورة غافر، الآية 39 .

4 محمد العيد،"الديوان"، ص 267.

- وادي السان laseine، نر يقطع عاصمة فرنسا (باريس) و المقصود به هنا فرنسا وحاكمها.

5 محمد العيد، "الديوان" ،ص 315 .

وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى: "هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ"[1]

ليتحدث كذلك عن الظلم فينه الطاغي والباغي إلى أن الله يجازي كل إنسان بما فعل، أن يحذر هذا الظلم، والأضرار التي تلحقه من جرائه:

وَقُولُوا لِمَنْ طَغَى أَمَامَكَ خَالِقُ بَشَرٍ وَخَيْرٍ مِنْكَ يُجْزَى بِمِثْقَالِ.[2]

وهذا تجسيدا لما جاء في قوله تعالى:"وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[3].

فيحفز النفوس لكي تستمسك بالدين، وتعمل بتعاليمه ويرشد المسلمين إلى عدم الخوف أي شيء إن هم اعتصموا بربهم الذي تعَنوا له الوجود صاغرة وهو الغالب الذي لا يغلب ولا يقول :

حَمْدًا لِمَنْ فِي الحَقِ غَاثَ وَغَارَ وَلِوَجْهِهِ عَنَتِ الوُجُوهُ صِغَارَ

سُبْحَانَهُ خَرَ القَوِيَ عَنِ الأَذَى وَحَمَى الضَعِيفَ مِنَ الأَذَى وَأَجَارَ

الغَالِبُ القَهّارُ فَوْقَ عِبَادِهِ مَنْ ذَا يَكِيدُ الغَالِبَ القَهَّارَ

مَنْ ذَا يُعِقبُ مَنْ سَوَى القَوِي وَدَعَا الغُيُوبَ وَقَدَرَ الأَقْدَارَ.[4]

فالشاعر يستغل المعاني والدلالات التي يحملها هذه الألفاظ والتي تصف الله بالقوي يهزم والعزة لتي تذل ومن ذلك قوله تعالى:" سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ".[5]

---

1 سورة الرحمن، الآية 43، 44 .

2 محمد العيد ، "الديوان" ، ص 127 .

3 سورة الأنفال، الآية 25 .

4 محمد العيد ، "الديوان"، ص 410.

5 سورة الزمر، الآية 4.

الشعر الديني عند محمد العيد يمثل أغلب شعره وهو شعر إصلاحي، والإصلاح سمة على شخصيته، ففي شعره ولم يتناول قضايا فلسفية أو عقلية مجّرد، كان يفتبس من القرآن والسنة النبوية، ويوظف التاريخ الإسلامي المشرف من خلال التزامه بالرسالة التي يحملها التي يدافع عنها؛ فالقرآن عند محمد العيد هو نور الحياة، وهو الطريق المستقيم به نحافظ على وجودنا وغايتنا وحضراتنا فوق هذه الأرض .

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث توصلت إلى مجموعة من النتائج كانت حوصلة لما ورد في ثناياه، وقد تمثلت في الآتي:

1. إنّ قضية الالتزام في الأدب قديمة جديدة، لا يستطيع أي عصر أدبي تغييرها فقد ظهر أثرها بجلاء، ضربت بجذور عميقة في حياة الشعوب وأدابها.

2. يُعنى أصحاب الدعوة إلى الالتزام أن يتقيد الأدباء وأرباب الفنون في أعمالهم الفنية بمبادئ خاصّة وأفكار معنية يلتزمون بالتعبير عنها، والدّعوة إليها، ويقربونها إلى عقول جماهير الناس.

3. الالتزام بمعناه الأصيل ليس نقيض الحرية، التي يختلف مفهومها من فلسفة إلى أخرى، ومن مذهب إلى آخر، فالالتزام هو نظام يُتبع في الحياة من لدُن الفرد والجماعة، فلا تستقيم الحياة إلاّ به.

4. الالتزام في الأدب أمر ضروري والأديب مسؤول بحكم التزامه عن كلّ الذي يكتبه.

5. الأدب رسالة تتمثل في الكشف عما يستوجب التغيير ثمّ العمل على إحداث التحولات الاجتماعية والحضارية وفق الحاجة إليها.

6. الأدب عمل ذو هدف، والأديب لا يكتب لنفسه بل للمجتمع الّذي يعيش فيه ويقوم فيه بإبراز العيوب والنواقص، وهز الواقع لتغيير ما فيه من عيوب في سبيل تحقيق قيم جديدة فالشاعر الحق رائد مجتمعه، ولسان حال أمّته، فرؤيته الصّادقة لا تنفصل عن هوية هذه الأمّة، والتزامه العقيدة الصحيحة يعني صدق رؤيته وبالتالي صدق إنتاجه الأدبي.

7. الأدب قضية اجتماعية وإنسانية، وليس متعة وترفيها، فالشاعر من خلال إبداعه يدافع عن القضايا الاجتماعية والسّياسية والإنسانية.

8. إن الالتزام في الشعر انفتاح على الحياة، يوقظ فيك الإحساس بما حولك، ويساعد بينك وبين الإغراق في ذاتك.

9. محمد العيد آل خليفة، شاعر ملتزم، شارك الشّعب الجزائري في قضاياهم الاجتماعية والسّياسية، ومواقفهم الوطنية، فهو يرى أن الشّعر فعّال في تنبيه الوعي، والدّفع نحو الثورة، وانطلاقا من ذلك اتجه نحو الشعر، وآمن بأهمية الكلمة في التغيير.

10. التزام محمد العيد يتجسّد في ثلاثة مواضيع؛ الالتزام السياسي، والالتزام الاجتماعي نادى من خلاله إلى العدالة الاجتماعية، والالتزام الدّيني الذّي تجلّى في نزعته الصوفية.

وبالتالي كانت هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا الجهد المتواضع، راجية أنّني أكون قد وفقت إلى حدّ ما في معالجة هذا الموضوع، وخير ما نختم به كلامنا هو الصّلاة والسّلام على سيدّنا محمد وعلى أهله وصحبه أجمعين .

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **الكتب :**

1. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930/1900م) دار نافع للطباعة، الجزائر، الطبعة الثانية، 1977، الجزء الثاني.
2. أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، دون تاريخ.
3. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية، للكتاب، الجزائر، دون طبعة 1984م.
4. إلياس فرح، تطور الفكر الماركسي، عرض ونقد، دار الطبعة بيروت، الطبعة السادسة، 1981م.
5. بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض، دون طبعة، 1404هـ.
6. جون بول سارتر، ما الأدب، ترجمة محمد غينمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجّالة، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ.
7. حسن فتح الباب، شاعر الجزائر، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 2002.
8. حسن ناصر، الشعر الجزائري،اتجاهاته وخصائصه، دار الغرب الإسلامي، لبنان، الطبعة الأولى، 1985 .
9. رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، بين النظرية والتطبيق، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، دون طبعة، 1988 .
10. سهام هشام، الالتزام عند الكتاب المصريين، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1993م.

11. شايف عكاشة، مدخل إلى الشعر المعاصر في الجزائر، المطبعة الجهوية وهران، دون طبعة، دون تاريخ.الجزء الثاني.
12. شلتاغ عبّود، الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المعرفة، مصر، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م .
13. صالح خرفي، صفحات من الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، وهران، دون طبعة، 1972م.
14. صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين(814 ق.م /1962م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ.
15. عباس محجوب، الأدب الإسلامي، قضياه المفاهيمية والنقدية، جدار الكتاب العلمي، الطبعة الأولى، 2006.
16. عبد القادر فضيل، محمد صالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، شركة دار الأمة، للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007.
17. عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشعر الإصلاحي، دار الكتاب العربي، الجزائر، دون طبعة، 2009.
18. عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري، دار الكتابة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،دون طبعة، 2009.
19. عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، دار القومية للطباعة والنشر، روض الفرج، مصر، دون طبعة، دون تاريخ.
20. عبد المجيد رمضان، ثورة الجزائر، شخصيات صنعت تاريخ الوطن، المطبعة العربية، الجزائر الطبعة الأولى، 1425هـ /2005 م.

21. العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، اتحاد الكتاب العرب، الجزائر، دون طبعة، 1999م، الجزء الأول .
22. فائق مصطفى عبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، دار الكتب للطباعة والنّشر، مصر، الطبعة الأولى، 1989 .
23. الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، لبنان، دون طبعة، 2008 .
24. لخضر العرابي، الأدب الإسلامي، ماهيته ومجالاته، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، دون طبعة، 2003 .
25. مجاهد مسعود، تاريخ الجزائر، المكتبة الوطنية، الجزائر، دون طبعة، 1996، الجزء الأوّل.
26. مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مطبعة دار القلم، بيروت، دون طبعة 1974.
27. محمد الطاهر يحياوي، أحاديث في الأدب والنقد، شركة الشهاب، الجزائر، دون طبعة دون تاريخ.
28. محمد الطّمار، تارريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر دون طبعة، دون تاريخ.
29. محمد العيد آل خليفة، الديوان، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دون طبعة، 2010.
30. محمد بوزواوي، مصطلحات في الأدب، مؤسسة الإخوة مدني، دون طبعة، 2003.
31. محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، عربية للطباعة والنّشر، مصر الطبعة الأولى، 1416 هـ /1995 م

32. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الشعب، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ.
33. محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنّقد، دار النّهضة، مصر للطبعة والنشر، الفجّالة، القاهرة، دون طبعة ، دون تاريخ.
34. محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، الطبعة الثانية، 1984م.
35. محمد مصايف، دراسات في النقد والأدب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، وهران دون طبعة، دون تاريخ.
36. محمد ناصر بوحاجم، اثر القرآن الكريم فيالشعر الجزائري الحديث (1976/1925) المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، الطبعة الأولى، 1992.
37. ابن منظور المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنّشر، بيروت، دون طبعة 1424هـ/2003م ، مجلد 3 .
38. نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1911.

- **المجلات والدوريات :**

1. صلاح الدين عبدي، ليلى عسكري، الالتزام في أشعار عبد الوهاب البياتي، إضاءات نقدية، العدد 12 ، 2013 .
2. طاهر محسن جاسم، ظاهرة التزام الشاعر في الأدب الإسلامي، مجلة ينابيع، العدد25 رجب 1429 هـ .
3. عبد الحميد شيحة، فصول في النقد الأدبي، الأدب والإديولوجيا، الجزء الأوّل، المجلد 5 العدد3، أبريل1985.

- **الرسائل و المذكرات :**

1. أحمد محمد أحمد المصري ،الالتزام في الشعر الفلسطيني المعاصر رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس، فلسطين ، 1410ه/1989.
2. آسيا سرطيوي ، الدعوة إلى العلم في الشعر الجزائري الحديث (1945/1920) رسالة ماجستير، قسنطينة، الجزائر، 2009/2008.
3. سامية المكي عباس المكي، الالتزام في الشعر العربي (العصر الأموي) رسالة دكتوراة، جامعة أم درمان الإسلامية، غزة، 2011/2010.
4. عبد الحميد بوزيد ، الإتجاه الإسلامي في الشعر الجزائري الحديث من سنة 1920/ 1962، رسالة ماجستير، جامعة باتنة الجزائر، 1992/1413.
5. عيسى بن ساعد مدور، الخطابة في النشر الجزائري الحديث، موضوعاتها وخصائصها (1954/1931) رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2005/2004.
6. ليلى جباري، الالتزام في الشعر العربي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة دمشق1986 / 1987م .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
دعاء.	
كلمة شكر.	
إهداء.	
مقدّمة.	أ- ج
مدخل: ظاهرة الالتزام في الأدب.	13-2
1. الالتزام في المذهب الإشتراكي.	8-6
2. الالتزام في المذهب الوجودي.	11-8
3. الالتزام في المفهوم الإسلامي.	13-11
الفصل الأول: الشعر الجزائري و ظاهرة الالتزام.	36-15
المبحث الأول: معايير الالتزام في النقد الجزائري.	22-15
1. ضرورة اقتراب لغة الشعر من لغة الجماهير.	18-16
2. الالتزام في إطار الحرية الفنية.	21-18
المبحث الثاني: دواعي الالتزام في الشعر الجزائري الحديث.	36-23
1. الوضع السياسي.	27-23
2. الوضع الاقتصادي والاجتماعي.	32-28
3. الوضع الثقافي.	36-32
الفصل الثاني: تجليات الالتزام في شعر محمد العيد آل خليفة.	60-38
المبحث الأول: الالتزام السياسي.	47-40
المبحث الثاني: الالتزام الاجتماعي.	52-48

المبحث الثالث: الالتزام الدّيني.	60-53
خاتمة.	63-62
قائمة المصادر والمراجع.	69-65

الملخص :

الأدب الملتزم يُطلق على مشاركة الشاعر أو الأديب لهموم النّاس في قضاياهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية، ومن مميزات الأدب الصّادق أن يتكلّم عن الواقع الذي يعيشه الأديب والظروف التي تحيط به.

لاشك في أن قيمة الشعر تنطلق من طريقة تعاطيه مع موضوعات الحياة، ولاسيما الموضوعات المصيرية في حياة الإنسان، و يكون الإنسان موضوعا متسعا لهذا النمط من الأدب وظهر الأدب الملتزم ردّا على فكرة الفن للفن.

أما محمد العيد آل خليفة، فقد نشر مجموعة شعرية تكشف عن التزامه، فقد آمن بأهمية الكلمة ودورها في التغيير، والثورة على الواقع المرير، فكان شعره بمثابة مرآة للمجتمع ووثيقته التي تنطق بكل خلجات نفسه.

Résumé :

La littérature débitrice S'indique au littéraire au poète quand t-il participe au soucis des gens, dans leurs situations problématiques sociales et politiques et dans leurs prise de positions nationales. La littérature sincère C'est quand on parle de la situation actuelle et réelle de notre environnement.

Sans doute la valeur du poème s'applique sur la façon dont on entretenons les sujets de vie que nous menons et en particuliers les sujets fatidiques. L'homme était le faisceau lumineux de ce type de littérature qui a aboutit à l'apparition littérature débitrice Sur l'idée de « l'art pour l'art ».

Mohammed Laid el Khalifa a publié un ensemble de poèmes ou il a révélé son engagement sur la l'importance de l'utilisation du mot et sa valeur dans le changement et la révolution en vue de la situation amer.

Ses poèmes étaient un reflet de la société et sa documentation qui translatait les désirs de son âme.

Abstract :

A concessionazy literature is the participation of both poet and literate to people, préoccupations in their social and politic matters and their patriotism attitudes.

The distinguished truthful literature is talking about reality that aliterate lived and the situations surrounded by.

Without suspect that poetry value starts up from the way to deal with life, topics.specially, destinies topics of individual's life. And it is a vast topic of this literature style.

Truthful literature appears to respond to the idea : (art is of art).but « Mohamed laid ail khalifa » published a poetic collection that reveals his concession while he beleived at the importance of the word and its role in changing, and the rebillion against the fierce reality .

His poetry was like a merror to society and his document that expresses all his emotions and thrills